

# صوت النساء

نحب الحياة غداً  
عندما يصل الغد سوف نحب الحياة  
كما هي، عادية ماكرة  
رمادية أو ملونة... لا قيامة فيها ولا آخرة  
وإن كان لا بد من فريج  
فليكن  
خفيفاً على القلب والخاصرة  
فلا يلدغ المؤمن المتؤمن  
من فريج... مرتين!

الراحل الكبير محمود درويش

معاً من أجل التحرير... معاً من أجل بناء الوطن

2008

صحيفة تصدر كل اسبوعين تعنى بقضايا المجتمع

September NO 298

٢٥ أيلول العدد ٢٩٨

## نحب الحياة غداً...

### صوتنا

#### وما أدراك ما العيد؟

يطل علينا عيد الفطر وفلسطين ما زالت تعاني من الحصار والاعتداءات الإسرائيلية المختلفة، ومن الحواجز التي تعيق تنقل الفلسطينيين، ومن مصادرة الأراضي التي التهمتها المستوطنات وبلغها الجدار الذي أوشك على الاكتمال، والوعود بإقامة دولة فلسطينية قبل نهاية العام ٢٠٠٨ تتراجع أمام الواقع السياسي الممعن في تدهوره.

يطل علينا عيد الفطر وما زال الفصل السياسي والجغرافي بين قطاع غزة والضفة الغربية والقدس قائماً، ولم تنجح كافة الجهود حتى الآن في تحقيق تقدم فعلي يشعر المواطن بالأمل والأمان.

يطل علينا عيد الفطر وما زال نحو ١١٠٠٠ أسير في السجون الإسرائيلية، وما زالت أسرهم تعاني من عدم التمكن من زيارتهم. وأطفالهم يترعرعون بعيداً عن آبائهم في معظم الحالات وعن أمهاتهم في حالات أخرى.

يطل علينا عيد الفطر ومعاناة المرأة الفلسطينية من الاحتلال في تزايد كما يشير تقرير الأمم المتحدة عن أوضاع المرأة العربية. كما يطل علينا والفقر يزداد، والبطالة تزداد، والغلاء يزداد، والهجرة إلى خارج الوطن تزداد، وهجرة الريف إلى المدينة تزداد بخاصة من المناطق التي سلبها الجدار مصادر عيشها، وتسرب الأطفال الذكور إلى سوق العمل يزداد، والزواج المبكر بين الإناث يزداد، والعنف الأسري يزداد بسبب كل ما سبق.

يطل علينا عيد الفطر ونحن مقسمون جغرافياً وسياسياً، حتى قوانيننا مقسمة بين الضفة وغزة، بخاصة تلك التي تخص الأسرة، وأحلامنا في دولة فلسطينية مستقلة ذات سيادة وعاصمتها القدس باتت بعيدة التحقيق، رغم كل الوعود التي سمعناها حول إنجازها قبل نهاية العام ٢٠٠٨، كأنما الوعود جرعاً تخدير كي يعطى المجال للانتهاء من بناء الجدار، الذي نخشى أن يشكل حدود الدولة التي لا تملك مقومات الدولة.

كم كنا نتمنى أن يدخل عيد الفطر علينا ونحن على قاب قوسين من دولتنا المستقلة، ونحن موحدون، لكن لعيد الفطر نكهة أخرى.

يطل علينا العيد، وما أدراك ما العيد! حصار وتشديد، أم اعتقالات وتهديد!

## في تقرير للأمم المتحدة

أوضاع المرأة العربية في تدن  
والفلسطينية أكثر المتضررات

إيمان المصري

أكد التقرير الإنمائي للأمم المتحدة، الصادر حول أوضاع المرأة العربية في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والتربوية والقانونية والأحوال الشخصية، أنه بالرغم من مشاركة المرأة العربية في المجتمع، وارتدادها مناصب إدارية وسياسية مختلفة، ووصولها لمقاعد البرلمانات العربية، إلا أن دورها مازال محدوداً وصلاحتها مقيدة.

ورأى التقرير أن وصول المرأة العربية لموقع القرار، تم تحت تأثير ضغوط الغرب والمنظمات الدولية. وينظر التقرير إلى المشاركة السياسية للمرأة، والتي باتت أحد الشعرات المفضلة لدى الأنظمة العربية، على أنها عملية تجميلية، ومجرد لافتة لتحسين صورة هذه الأنظمة، نظراً لعدم ارتباط هذه المشاركة بممارسة فعلية ومؤثرة للسلطة.

وتوقف التقرير عند تأثير العنف في النساء العربيات، كجرائم الشرف والعنف المنزلي والعنف الناتج عن الاحتلال، كما يحدث في «العراق» و«فلسطين»، فهما أكثر من يعانيان منه، والإرهاب وصعود التيارات المتشدة وحجاب المرأة، وغيرها من الأمور التي تخص المرأة في العالم العربي، ودورها الرمزي في المشاركة السياسية والاجتماعية.

وأشار التقرير إلى أن مشاركة المرأة في الحياة السياسية، كمثل المرأة العمالية والقطرية حق الترشيح للانتخابات البرلمانية ٢٠٠٣م، وحصول المرأة الكويتية على حقوقها السياسية الكاملة العام ٢٠٠٥م، إلا أن هذه المشاركة شكلية أكثر منها جوهرية.

وأكد التقرير أن النساء اللاتي تم تعيينهن في بعض الوزارات كشؤون المرأة والشؤون الاجتماعية، لا يعكس مشاركة مؤثرة بل محددة بحقائب وزارية غير مؤثرة.

وتقل التقرير عن المديرية الإقليمية لبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي في الدول العربية، اليمنية «أمة العلم السوسوة» تأكديها على أن التقرير تناول موضوعات شديدة الحساسية في العالم العربي، وجاء حصيلة عمل باحثين مستقلين من خلفيات وجنسيات متنوعة، وهو يغطي العالم العربي كاملاً بظروفه السياسية والاجتماعية وتباينها من دولة لأخرى. أما المشاركة الاقتصادية فهي أكثر سوداوية، إذ إن معدل النشاط الاقتصادي للمرأة العربية هو الأقل في العالم.

دراسة مسحية حول الحصار تشير  
إلى سوء الأوضاع الأسرية

غزة: محمد البابا

اعتقادهم أن معدل العنف ضد المرأة داخل أسرهن قد ازداد في فترة الحصار، بينما أشارت (٦٠٢٪) منهن إلى أن العنف ضد الأطفال داخل أسرهن قد ازداد في فترة الحصار، وأكدت (٨٥٢٪) منهن أن مستوى العصبية والتوتر والقلق داخل الأسرة قد ازداد في فترة الحصار.

## الحصار والتعليم

وأعربت (٥٦٨٪) من النساء المبحوثات عن اعتقادهم أن نسبة الرسوب بين الطلاب ازدادت، بينما أعربت (٦٤٢٪) منهن عن اعتقادهم أن الحصار تسبب في حصول الطلاب على معدلات دراسية متدنية. وأظهرت النتائج أن (٢٨٣٪) من عائلات النساء المبحوثات قد حدث فيها تسرب من المدرسة لأحد الأطفال بغرض العمل.

## الوضع الصحي

وأعربت (٥٨٧٪) من النساء المبحوثات عن اعتقادهم أن الحصار تسبب في عدم قدرة أحد أفراد الأسرة على العلاج في الخارج، وأعربت (٥٧٧٪) منهن عن عدم قدرة أسرهن على توفير تكاليف العلاج لأحد مرضاهن.

## دور مؤسسات المجتمع المدني

أعربت (٣٥٥٪) من النساء المبحوثات عن اعتقادهم أن مؤسسات المجتمع المدني لا تقوم بدورها في التخفيف من العنف الموجه ضد المرأة والطفل، بينما أعربت (٤٠٧٪) منهن أن مؤسسات المجتمع المدني لا تقوم بدورها في التخفيف من تدهور الوضع الصحي. وأوضحت (٥٠٥٪) منهن أن مؤسسات المجتمع المدني لا تقوم بدورها في التخفيف من آثار الوضع الاقتصادي على الأسرة الفلسطينية.

أكدت دراسة مسحية إحصائية تحت عنوان: «آثر الحصار على الأسرة الفلسطينية من وجهة نظر المرأة»، سوء الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والتعليمية والصحية لدى الأسرة الغزية. وكانت جمعية الدراسات النسوية التنموية الفلسطينية أجرت في الفترة بين شهري «تموز» و «آب» من العام الجاري الدراسة، استهدفت فيها عينة عشوائية حجمها ٦٠٠ امرأة، موزعة على قطاع غزة حسب المنطقة.

## الوضع الاقتصادي

أظهرت نتائج الدراسة (٣٦٩٪) من النساء المبحوثات ذكرن أن معيل الأسرة فقد عمله، وبالتالي فقد الدخل الرئيسي للأسرة جراء الحصار، وما (٢٨٤٪) منهن ذكرن أن معيل الأسرة غير عمله والدخل الرئيسي للأسرة نقص جراء الحصار. وأعربت (٣٧٧٪) من النساء المبحوثات أن أسرهن اضطرت إلى تقليل مصروفاتها، فيما أعربت (٤٣٥٪) منهن أن أسرهن تعاني من تراكم الديون. وأظهرت النتائج أن (٤٥٨٪) من أسر المبحوثات اضطرت إلى بيع بعض مقتناتها وأملاتها بسبب الحصار، وأعربت (٩٦٥٪) من النساء المبحوثات عن اعتقادهم أن أسعار السلع والمواد التموينية الأساسية قد ارتفعت بينما أعربت (٩٦٧٪) منهن عن اعتقادهم بأن الحصار تسبب في نقص توفر عدد من السلع والبضائع الأساسية.

## الوضع الاجتماعي

وأعربت (٢٨٣٪) من النساء المبحوثات أن أسرهن اضطرت إلى تزويج إحدى فتياتها زواجا مبكرا، وأعربت (٤٩٪) منهن أن أحد شباب العائلة اضطرت إلى تأجيل زواجه بسبب الحصار، وذكرت (٢٠٥٪) منهن حدوث حالات طلاق بسبب الحصار داخل أسرهن. وأعربت (٦١٪) من النساء المبحوثات عن

## أرقام التعداد العام للسكان

## في الضفة الغربية: حقائق ومعطيات جديدة

في اتساعه بسبب هجرة الكثير من الأسر من قرأها باتجاه مراكز عملها، وهو نمط قابل للإتساع والزيادة مع زيادة مشاركة النساء في الإنتاج، وهذا النمط الجديد من الأسر قد يكون نعمة لبعض النساء وقد يكون نقمة.

وهذا التغيير قد يساهم في مزيد من الإستقلالية للأسر، ويعطي للنساء مساحة أوسع في اتخاذ القرارات ويخفف من تدخلات الأهل والعائلة فيها، إذا ما تم تقاسم المسؤولية تجاه الأعباء الأسرية داخل الأسرة بصورة تشاركية حقيقية.

وتشير النتائج النهائية إلى أن المجتمع الفلسطيني المقيم في الضفة الغربية ما زال فتياً، وبالمقارنة مع تعداد عام ١٩٩٧، و يلاحظ أن السنوات العشر الماضية شهدت انخفاضاً في نسبة الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين ٠-١٤، حيث انخفضت نسبتهم من ٤٥,١٪ عام ١٩٩٧ لتصل إلى ٤١,٣٪ عام ٢٠٠٧. بالمقابل شهدت نسبة السكان في سن العمل ارتفاعاً ملحوظاً خلال الفترة، حيث ارتفعت نسبتهم من ٥١,١٪ عام ١٩٩٧ لتصل إلى ٥٥,٣٪ من مجمل السكان أي بنسبة ارتفاع قدرها ٤,٢٪ ما بين التعدادين، وهذا يعني أنه وعلى الرغم من أن المجتمع الفلسطيني مازال فتياً مقارنة مع المجتمعات الأخرى إلا أن نسبة صغار السن والشباب تنخفض مع الزمن. الإرقام تشير إلى ارتفاع نسبة السكان في سن العمل، وفي المقابل لا نشهد زيادة في فرص العمل، بل العكس هو الصحيح، ما يعني زيادة نسب البطالة في المجتمع الفلسطيني، والنساء هن المتضرر الأكبر، وأي زيادة قد نلاحظها في مشاركة النساء في الإنتاج، لا تعكس توجهات في وعي المجتمع الفلسطيني، بقدر ما هي زيادة طبيعية تتلائم مع زيادة عدد النساء في سن العمل.

وانعكست الأوضاع الاقتصادية بصورة واضحة على نسب المتزوجين في تراجع نسبيهم، والتي كانت عام ١٩٩٧ في الضفة الغربية ٥٦,٥٪ وأصبحت (٥١,٥٪) عام ٢٠٠٧. وكانت نسبة المتزوجين عام ١٩٩٧ من الذكور ٥٢,٥٪ لتصبح ٥٠,٣٪ عام ٢٠٠٧، في حين نسبة الإناث ٥٥,٢٪ عام ١٩٩٧، وأصبحت ٥٢,٧٪ عام ٢٠٠٧، بمعنى نقص معدلات الزواج في الضفة الغربية وقد يكون ذلك ناتج عن الإجراءات الإسرائيلية خلال انتفاضة الاقصى والأسباب الاقتصادية المرافقة.

لكن الإيجابي، هو ازدياد معدل الوسيط عند الزواج الأول عند الإناث ما بين التعدادين للسكان، فقد ازداد عند الإناث من ١٨ سنة عام ١٩٩٧ ليصل إلى ١٩ سنة عام ٢٠٠٧، بينما لم يكن هناك أي تغيير بالنسبة للعمر الوسيط عند الزواج الأول للذكور، حيث استقر عند ٢٤ سنة.

يتحقق. هذا الإنخفاض في المعدل يؤكد صحة السياسات الحكومية والأهلية التي دعت لتنظيم النسل خاصة في السنوات الأولى من عمر السلطة، حتى لو لم تقترب من فكرة تحديد النسل.

وأوضحت نتائج التعداد أن عدد الأسر في الضفة الغربية عام ٢٠٠٧ هو ٤٢٧,٠٩٧ أسرة. ومن هنا فقد بلغ متوسط حجم الأسرة في الضفة الغربية (٥,٥) فرداً. في حين أشارت النتائج إلى أن عدد الأسر في الضفة الغربية عام ١٩٩٧ قد بلغ ٣٠٧,٦٢٤ أسرة، فيما يلاحظ أن متوسط حجم الأسرة قد إنخفض بين التعدادين من ٦,١ فرداً عام ١٩٩٧ ليصبح ٥,٥ فرداً عام ٢٠٠٧، الأمر الذي يدل على إنخفاض الخصوبة من جانب وإلى التوجه نحو الأسر النووية على حساب الأسر الممتدة من جانب آخر. ولكن السؤال هل يستمر الإنخفاض في معدلات الخصوبة، خاصة في ظل الفقر والأوضاع الاقتصادية وزيادة مساحة تأثير التوجهات الدينية عن المواطنين، والتي لها مفاعيل عكسية في تنظيم النسل وضبطه.

وقد نجد إجابات واضحة لهذا السؤال، إذا ما دققنا النظر في أرقام زيادة معدلات الخصوبة، في المخيمات الفلسطينية، وهي الأكثر فقراً والأكثر تاييدا لحماس بين التجمعات السكانية، حيث أشارت النتائج إلى زيادة نسبة الخصوبة بين السكان الفلسطينيين اللاجئين في الضفة الغربية عام ٢٠٠٧ قد بلغت ٢٨,١٪، مقارنة بحوالي ٢٦,٦٪ عام ١٩٩٧. ويعود انخفاض معدل الخصوبة بالفائدة المباشرة على النساء أنفسهن صحياً ونفسياً، ويخفف من الأعباء الاقتصادية، ويحسن من ستوى دخل الأسرة، وهي قضية تستحق تسليط الضوء عليها.

وبينت نتائج التعداد، أن نسبة الأسر الفلسطينية الخاصة النووية لعام ٢٠٠٧ في الضفة الغربية بلغت ٨٣,٢٪ فيما كانت هذه النسبة لعام ١٩٩٧ في الضفة الغربية ٧٤,٠٪. بينما إنخفضت نسبة الأسر الفلسطينية بخاصة الممتدة من ٢١,٧٪ عام ١٩٩٧ لتصبح ١٢,٤٪ عام ٢٠٠٧ في الضفة الغربية وهذا يؤكد الإتجاه السائد لزيادة نسبة الأسر النووية على حساب الأسر الممتدة.

وهذه الإرقام يجب التوقف عندها، وهي نتائج يمكن لها أن تفرض على المجتمع زيادة الخدمات المقدمة للنساء المشاركات في الإنتاج، وتطرح مفاهيم جديدة في تنظيم العلاقات داخل الأسرة الفلسطينية، وتفرض عليها الإعتماد على نفسها دون مساعدة العائلة، وتزيد من مساهمة الزوج في أعباء البيت والعناية بالأطفال. هذا النمط الجديد من الأسر الفلسطينية ساهمت الإنتفاضة والحوار الإسرائيلي

## إضاءات

## زلفى شحرور

جاءت الأرقام الخاصة بالتعداد العام للسكان في الضفة الغربية عام ٢٠٠٧، والذي نفذه الجهاز المركزي للإحصاء، ونشرت نتائجه بداية شهر أيلول من هذا العام، لتسلط الضوء على بعض القضايا التي تهم النساء، والمعينين بتنمية واقع المرأة في فلسطين. والنتائج على أهميتها، وإن كانت لا تعكس واقع الحال في كل الأراضي الفلسطينية بسبب عدم قدرة الجهاز على تنفيذها في القدس وغزة، بسبب الاحتلال والوضع السياسي القائم في غزة، لا يزال ينقصها القراءة التحليلية للرقم من قبل متخصصين، يستطيعون لفت النظر إلى بعض التغيرات ومعرفة أسبابها وقراءتها قراءة علمية صحيحة.

ومن أهم القضايا التي لفت لها التقرير والخاصة بوضع النساء داخل الأسرة والمجتمع، هي انخفاض نسب الخصوبة في الضفة الغربية، وزيادة عدد الأسر النووية، وزيادة نسب الرجال والنساء في سن الإنتاج.

ومثل هذه القضايا تخص بصورة رئيسة عملية التنمية وفتح آفاق أمام النساء، نحو مزيد من التحكم في حياتها الخاصة، وتسيير شؤون عائلتها إلى جانب مساهمتها في الإنتاج، وجميعها نصب في جوهر مفهوم تنمية المرأة.

والسؤال المطروح اليوم، هل هذه النتائج هي بنت يومها، أم أنها نتيجة لسياسات تم تنفيذها منذ قيام السلطة الوطنية، وما هي المفاعيل والتأثيرات للواقع الذي فرضه فوز حماس في انتخابات التشريعي وسيطرتها على غزة بقوة الأمر الواقع. وتشير نتائج التعداد إلى استقرار نسبة الجنس في الضفة الغربية ما بين العام ١٩٩٧ والعام ٢٠٠٧، حيث كان هناك تفوق لنسب المواليد الذكور عن الإناث في فلسطين، مع بروز انخفاض طفيف في نسبة الذكور للإناث والتي تراجعت من ١٠٣,٢ إلى ١٠٣,١ ذكر لكل مائة أنثى، وهو ما يطرح تساؤلات حقيقية حول بعض الظواهر الاجتماعية في المجتمع من نوع العنوسية، أسبابها، وهل هذا الانخفاض قابل للاستمرار.

كما تشير الأرقام إلى زيادة معدل الزيادة السكانية البالغة ٢,٦٪ سنوياً، ما يعني مضاعفة عدد السكان بعد ٢٧ عاماً، على خلاف التوقعات السابقة للإحصاء الفلسطيني بالتضاعف بعد ٢٣ سنة في الضفة الغربية. هذا الأمر يعود أساساً إلى سببين رئيسيين هما انخفاض معدلات الخصوبة واقتراض صافي هجرة موجب لم

## أعياد غزة أحزان وفقر وأسعار تزداد ارتفاعاً

غزة-رشا فرحات

استشعرنا آراء الباعة في بعض المحال التجارية، حيث قال أبو محمود صاحب محل لبيع ملابس الأطفال في سوق الرمال في وسط المدينة: «ليس بيدنا رفع الأسعار إلى هذا الحد، فالقطعة التي كانت تصلنا بما يعادل عشرة شواكل أصبحت تصلنا بعشرين، ونحن مضطرون لرفع السعر حتى نحقق بعض الأرباح، وهذا بالتالي سيكون له الأثر البالغ على نسبة الشراء، فمعظم الناس يعانون فقراً مدقعاً، وحتى من يمتلك المال من الموظفين في القطاع الحكومي، أصبح يخاف من صرفه تحسباً لانتقطاع الراتب في أية لحظة، أو حدوث أي طارئ في المنطقة يقلب الأوضاع إلى الأسوأ، بسبب الإضرابات التي زج فيها جميع الموظفين في جميع القطاعات، وأنا أرى هذا العيد عبداً كثيباً، فالناس قلة في الأسواق وحركة البيع سيئة للغاية».

### اقتصاد منهار

وفي نفس السياق حذر برنامج الأغذية العالمي التابع للأمم المتحدة، من أن الوضع الاقتصادي في قطاع غزة يزداد سوءاً، وقال: «أرنولد فيركن» مدير البرنامج في قطاع غزة والصفة الغربية، خلال مؤتمر في العاصمة السويدية أستوكهولم خصص لجمع مساعدات للفلسطينيين: «اقتصاد غزة ينهار، وليست هناك ثقة في المستقبل، ولا استثمارات ولا أمل، ولا بد من منح سكان غزة بصيصاً من الأمل لإعادة بناء الاقتصاد».

وتابع في تصريحات نقلت عنه: «يوجد الآن مخزون من المواد الغذائية يكفي لمدة شهر واحد فقط، في قطاع غزة ذي الكثافة السكانية المرتفعة، والذي يعتمد على المواد الغذائية الخارجية التي تصله عن طريق المعابر الحدودية، التي تغلقها إسرائيل بين الحين والآخر». وأكد فيركن أن البنية التحتية منهورة، والتجارة انهارت تماماً، فيما تشهد صناعات كانت تشكل دعامة الاقتصاد في القطاع، خاصة الزراعة والصيد تراجعاً حاداً، كما لا توجد أي حبوب في الصوامع الـ 4 الرئيسية.

وقد أصدر المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان مؤخراً تقريراً بعنوان: «تدمير اقتصاد قطاع غزة»، يسلط فيه الضوء على أثر سياسة الحصار والإغلاق الشامل، الذي تواصلت سلطات الاحتلال الإسرائيلي تشديده على قطاع غزة. أوضح فيه أن الحصار المفروض على القطاع قد شكل ضربة قاضية لاقتصاد القطاع المتدهور أصلاً، وأدى إلى شلل أصاب كافة القطاعات الاقتصادية المكونة له، وكبدها خسائر فادحة. كما أدى إلى إغلاق شبه تام للغالبية المنشآت الاقتصادية الحيوية، أو تقليص طاقة العمل فيها إلى أدنى المستويات. كما استعرض التقرير حجم التدمير الشامل والمنظم الذي أقضت إليه سياسة العقاب الجماعي ضد السكان المدنيين في قطاع غزة، الذين يحاربون في وسائل عيشهم، وخلفت مزيداً من الفقر والبطالة بين صفوف العاملين فيه، بسبب التوقف شبه التام لكافة مرافق القطاعات الاقتصادية، والناجم عن استمرار إغلاق المعابر ومنع التدفق الحر للواردات والصادرات الغزبية من السلع والبضائع، بما في ذلك المواد الأولية.

لا يمكن أن يعتقد أي منا على الفقر والعوز، في حياة ملؤها اليأس مما يدور في المدينة المحاصرة منذ أكثر من عامين، أمهات عاملات في غزة، كن الدعامة الأولى في ثبات حياة أسرهن، يمر عليهن العيد تلو العيد وهن في دوامة من التفكير، يسعين لتدبير أمورهن بأقل التكاليف الممكنة، عسى الله أن يرسل لهن عاماً آخراً تنفجح فيه الأحوال عن فرح مخبأ خلف الأقدار المنتظرة، ليستعدن فيها فرح العيد ولو مرة واحدة، في هذا العام يمر عليهن العيد مؤلماً، شحيحاً، لكنه رغم كل شيء سيمر مهما كانت الظروف، وسيتحدون من أجل أبنائهن هذه الظروف المؤلمة كما كل عام مضى.

### صدقات المحسنين

سعاد محسن عاملة في أحد المصانع التي أغلقت أبوابها مؤخراً بسبب الحصار والإغلاق وقلة المواد الخام تقول: «أنا الآن لا أملك سوى ما يطعم أولادي فقط، بعدما فقدت عملي أنا وزوجي، فهو يعمل معي في نفس المصنع، وراتبنا لم يكن يكفي أصلاً، ثم جاءت المصيبة الكبرى في توقفنا عن العمل، فأصبحنا الآن نعتاش من صدقات المحسنين، ونظرات أبنائي السبعة وتوسلاتهم لي لشراء ملابس العيد تكاد تقتلني، فهم ما زالوا صغاراً لا يدركون معنى الحصار والفقر والحاجة، وأنا لا أريد أن احملهم هذه الهموم خوفاً على طفولتهم، وأحاول أن اصبرهم بالقليل القليل، لكنه رغم كل شيء لا يكفي مطلقاً، حتى أنني أخشى قدوم العيد حزناً على أطفالنا الذين سيعرّون من لباس جديد يشعرون بفرحة العيد، كما في كل الأعوام».

صابرين محمد موظفة في قطاع الصحة، عانت مؤخراً بسبب الأزمة التي لحقت بالقطاع الصحي، والتي أدت إلى الإضراب والتوقف عن العمل حيث تقول: «بعد الإضراب الأخير لقطاع الصحة وانقطاع رواتب بعض العاملين، واعتقال بعض الأطباء، أصبحنا نتخوف على رواتبنا، وأصبح مستقبل أبنائنا مهوون بكلمة من هنا أو هناك نذهب ضحيتها نحن العاملين، فانا قد انقطع راتبي لا أعلم لماذا؟ وأصبحت الآن بلا عمل، وما أملكه من المال ادخرته لأنني لا أعلم هل سيعرف راتبي مرة أخرى أم لا، ففي هذا العام لا ملابس عيد جديدة لأبنائي، ولا فرحة استشعرها في قلبي وقلبيهم، فكل الأوضاع سيئة وكل القطاعات تأثرت بهذا الحصار الخانق، ونحن ضحية لكل الخلافات الدائرة»، ووجهت صابرين رسالة إلى الحكومتين الفلسطينيتين: كفاكم تناحراً، لقد أصبحنا في غزة ضحية مأساوية لهذا التناحر، فقر وخوف وجوع، وما زلنا ننتظر ونتوقع الأسوأ، فانظروا إلينا بعين الرحمة.

### لا بيع ولا شراء

في تجوالنا وسط أسواق غزة، نرى المحال التجارية وقد عرضت القليل من البضائع والملابس، التي لم يتوفر غيرها في الأسواق بسبب الحصار المفروض على القطاع،

## النساء والعيد: فرح وأمل وأحزان مزدوجة..

### عبد الباسط خلف

النهار، ثم أفرهم على طبق من العدس، وكيف ساو فر لهم الملابس للعيد؟!».

### امراة فولاذية

هي أم بمواصفات خاصة. توفي زوجها في حادث سير، وترك لها ثلاثة أطفال صاروا اليوم في أوج الشباب. لم تجلس في البيت تبكي، فقررت أن تصنع لهم في كل عيد جواً خاصاً. تقول أم عادل: «أصنع لهم السعادة، فأعمل وأعلم وأربي وأتحدى الصعاب. وفي كل عيد أسعي بكل استطاعتي لإسعادهم. نجعل البيت، نشترى الملابس، نصنع كعك العيد معاً، والأهم نزرع قبر زوجي والدهم، ونحتفل بالمناسبة ونفرح». تضيف: «يمكن لنا أن نحتفل بالعيد رغم الألم الذي يسكن قلوبنا. فلو أدمننا البكاء لفقدنا كل شيء، ولم نتمكن من الحياة، ومن تعليم أولادنا، ومن إدخال السعادة إلى قلوبهم».

### بالقلم والورقة

أم فوزي، سيدة كل حياتها كفاح. زوجها مصاب بمرض عضال ولا يعمل. تدير أسرتها بنجاح. فتعمل وتحضر الحلويات في بيتها، وترزق الخضراوات، وتحقق دخلاً لا بأس به. تروي بسعادة تفوح من كلامها: «صحيح الغلاء» «بهد الحيل» وصحيح وضعنا على قد حاله، لكن هذا أفضل من أن نمد يدنا للناس». تتابع: أحسب مصاريف العيد بالقلم والورقة، فهناك الملابس، الطعام، الضيافة، العيدية لبعض الأطفال وغيرها. من كلام السيدة أم فوزي، نستمتع إلى الكثير من الأرقام، وفي النهاية يظهر عجز كبير في «الموازنة» المتواضعة، يجبرها على التشف في الشهور التالية للمناسبة، لكنها تبتسم وتقول: «المهم أن ندخل السعادة إلى أسرتنا». تنهي: لا أميز في الشراء والحساب بين بناتي وأولادي، فكلمهم واحد، وعيب أن نتعامل بالفرقة. وصف تصف الكاتبة إكرام الزرو التميمي لحظة العيد، فتقول: «يستنهض العيد فينا الأمل من أجل ديمومة العطاء للوطن وللنفس. فالبهجة والحبور والعطاء هي كتلك التي تمتلكها الطيور التي ما زالت تحبو في العش، وما زالت بحاجة لتعلم الطيران لكي تستطيع جمع شتات حب القمح من كرم محاصر. أو أرض سليبية أو أن تحلق على غصن زيتون ليحميها من مخالب الصقور أو فيحج الأفاعي».

### الجيبة الامامية

ما أن بدأت التحضيرات للعيد في سوق جنين، إلا وشرعت في مهمة واحدة: النظر إلى كيفية تعاطي الأمهات والآباء مع الأطفال الذين يراقونهم. فهنا أب يوسع ابنه ضرباً لأنه أراد أن يشتري لعبة. وفي مكان ثان، تصرخ أم على صغيرتها: «لا تريد أن تشتري من هذا المحل، أسعاره غالية». وعند بوابة مجمع تجاري، تقول سيدة لرفيق طريقها: «هذا المحل رقم (٢٠) الذي ندخله، دون أن نشترى»، أما السيدة علياء محمد، فتقول: «التأجيل في العيد ضروري، وبخاصة في وقت الغلاء». وتقول أم رفيق: «النساء في بلدنا مطالبات أكثر من الرجال بإقناع الأولاد بتأجيل عملية الشراء أو بالتقشف، لأن الآباء دائماً في العمل، وقد يواجهون طلبات الأبناء بعصبية، لذلك فالأمهات هن على الجبهة الامامية».

يحمل العيد في أوراقه الكثير من اللحظات لنساء فلسطين: فهنا صناعة للأمل، وهناك تعبير عن الجرح الذي تعود إليه «الحياة» بإعلان المناسبة، وفي مساحات أخرى قوة وضعف وآياس وأرقام وتأجيل، وتستلقي في مكان ما انتقادات بغرض الإصلاح، لا نشر الغسيل غير النظيف، ومشتقات أخرى.

### علامة تعجب

في العيد، ما قبله وما بعده، أمطر نفسي بوابل من الأسئلة. فلا أستطيع أن أفقز عن سؤال مفتوح لا يجد إجابة: ألا تستحق النساء في هذه المواسم أن نعيد النظر في تعاملنا معهن، فلا نتصور أن «الولائم» التي نقيمها لهن، أو «العيدية» التي ندفعها لهن مقدسة وليست بحاجة إلى إعادة تعريف. فما المعنى الذي ستوصله وليمة أقيمت على مضض أو بعد طول جفاء؟ وكيف سندعي أننا «نصل أرحامنا» في أيام العيد ونحن نصادر حقوقهن الشرعية من الميراث؟ وهل هذا الغفصود من العيد: زيارة طارئة لخمس دقائق وفنجان قهوة و«مبلغاً من المال» وجفاء طوال العام!

### قبران

لم أرغب في أن أعيد فتح جراح أم العيد بالرغم من القصة الكبيرة التي تحتفظ بها لمناسبة العيد وفي كل لحظة. فهي أم لشهيدين سقطا تقريباً في المكان نفسه، وبفارق أربعين يوماً، ودفنا على بعد أمتار من منزل العائلة في بلدة برفقين الملاصقة لجنين. ما هي الأسئلة التي يمكن لصحافي أن يطرحها على أم مكلومة بهذه المواصفات؟ هل سيقول لها عبري لنا عن حزنك؟ أم سيحاول البحث في مساحة شعورها وهي تطيل النظر بقبرين يلاصقان منزلها؟ اكتفيت بسؤال جار للبيت، فاستمع إلى إجابة مصابة بالحزن: «أم العبد في كل عيد تحصل على الرقم واحد في الحزن، فخطوتين تصل إلى القبرين وتبت أوجاعها، ولا تستطيع أن تغادر المكان لأنها تسكنه ويسكنها».

### أم سلمان

قريباً من العيد، تصلني رسالة من الزميلة ميرفت صادق، تلتقط فيها أحزان السيدة سناء القطاوي، الأم لطفلين: سلمان وفخرية، والتي توفي زوجها بعد صراع مع مرض عصبي. بعدها شيدت غرفة من ألواح «الزيتكو» المعدنية في منطقة منخفضة بالقرب من جدار الفصل العنصري المحيط بمدينة قلقيلية. من وصف ميرفت للبيت وللقر الذي يستشري بالعائلة، نتألم أن عائلة تعيش مع الأفاعي والقوارض، ويتلذذ الفقر في عذابها. كيف لنا أن نقول لهذه السيدة: «كل عام وأنت بخير؟» فمن أين سيأتيها الخير؟ بلا شك هناك نساء أخريات كام سلمان، هن في عداد الأموات رغم الحياة التي تسير في عروقهن. فهنا أم إبراهيم التي تقول لي، بعد أن تصادفت وإياها في سوق المدينة: «أتمنى أن لا تأتيني ثلاثة مواسم: العيد والمدرسة ورمضان، لأنني لا أستطيع إقناع أطفالنا بالصوم طوال

### المطربة "أسمهان"



## رحلة موت غامض

بسام الكعبي

في الحلقات الخمس الأخيرة المتبقية من عمر "أسمهان" .. هل يعثر المتابع للأحداث المتلاحقة على القاتل الغامض للمطربة الراحلة منذ أربعة وستين عاماً.. هل يتسلم المشاهد العربي بموضوعية حقيقة القاتل الشبح الذي أودى بسيرتها في قاع النيل: أجهزة الأمن البريطانية، الملك فاروق، أحمد سالم زوجها الثالث، المطربة أم كلثوم، الملكة نازلي، رئيس الديوان الملكي أحمد حسنين باشا؟ ربما دفعت آمال فهد الأطرش حياتها ثمناً لنجوميتها المتوهجة، وبريق صوتها، وحضورها اللافت في قصور رجال السلطة الحاكمة، وتنافسهم لاستقطاب قلبها بأساليب مختلفة!! كيف يكون مصير مطربة متألقة تدخل على خط المجد والثروة ونزاعات أجنحة السلطة الحاكمة وتنافس رجالها في ابتداء فنون الإخضاع والابتزاز؟ هل كررت المغنية اللبنانية سوزان تميم الشهر الماضي مصير أسمهان منذ سنوات طويلة رغم اختلاف أسلوب القتل؟ استقطب "أسمهان" منذ بداية عرضه اهتماماً كبيراً ترافق مع اعتراضات عائلة الأطرش، عندما تقدم ابن شقيقها فيصل فؤاد ببلاغ رسمي، يطالب بوقف المسلسل ومنع عرضه تحت دواعي "تلفيق قصص نسيء للمطربة وعائلتها" وهدد بمقاضاة القنوات العربية حال عرضه، لكن المنتج السوري فراس إبراهيم أكد أن عمله الفني لن يتضمن أية إساءة إلى الراحلة مع استعداده لحذف مشاهد نسيء للمطربة وعائلتها.

هل للشخصيات العامة ورثة؟ يمتلكون حق الدفاع عن تاريخها ويبرعون بتقديم دعاوى قانونية في مواجهة حق التأليف والتوثيق والإنتاج؟ قد تكون القوانين المعدلة عربياً حسمت هذا الأمر.. أحد القوانين صدر العام ٢٠٠٢ في جمهورية مصر العربية نص بالحرف الواحد: "ليس للشخصيات العامة ورثة على الإطلاق" ..هل ينجح فيصل الأطرش بمقاضاة المنتج وعشر قنوات فضائية عربية تواصل بث الحلقات حتى نهاية شهر رمضان وقد شارف على خاتمته؟

وبقدر شرعية السؤال حول وريثة الشخصيات العامة، إلا أن المشروعية الأخلاقية للمشاهد، تكمن في حصوله على حقائق مجردة وبمتمتة الموضوعية تتناول تاريخ هذه الشخصيات، بل من حق المواطن معرفة إطار نشاطهم العام وتفصيل الأحداث التي عصفت بهم بتجرد كبير وموضوعية..ولهذا من المهم جداً تدوين التاريخ بحيادية بعيداً عن الانتقائية والعداونية ولغة التبشير..أعتقد أن مهمة صياغة تاريخ الشخصيات العامة ليست مسألة انتقائية لمؤرخ يغيب التدوين بموضوعية مقترباً من صياغة متخيلة للأحداث التاريخية، تصنع من الشيطان ملاكاً أو تلقي بتاريخ نجمة على جبل من الأسئلة المتناحرة..هل نجح فريق السيناريو والتأليف من صياغة حقيقية ليوميات خاطفة في تاريخ الأميرة آمال الأطرش؟

ربما يكون سوء طالع المطربة أنها عاشت حياتها القصيرة (١٩١٢-١٩٤٤) في ظروف دولية معقدة: شاهدت الحربين الكونيتين الأولى والثانية عقب ولادتها وسط عائلة الأطرش الدرزية البارزة في الجبل السوري، على متن باخرة كانت في طريقها من تركيا إلى بيروت، عاشت إعلان زعيم العائلة سلطان باشا الأطرش الثورة الكبرى ضد الاحتلال الفرنسي العام ١٩٢٠، شهدت وفاة والدها فهد الأطرش بعد أربع سنوات على الثورة الكبرى، وغادرت برفقة والدتها وأشقائها لبنان لتستقر في مصر، كانت دون الثانية عشرة من عمرها حين لمع بريق صوتها في القاهرة على إيقاع وتر شقيقها فريد الأطرش، ونالت من الملحن المصري داوود حسني اسمها الفني الجديد..أسمهان.

لمعت أسمهان كنجمة في السنوات العشر الأخيرة من عمرها القصير الذي لم يتجاوز الثانية والثلاثين، ورغم أنها قضت ست سنوات زوجة لابن عمها الأمير حسن في مدينة سويداء السورية، إلا أنها تمكنت من تقديم نحو أربعين أغنية وشاركت بفيلمين سينمائيين كان آخرها "غرام وانتقام" مع الممثلين البارعين يوسف وبهي وأنور وجدي. طالبت المطربة منتج فيلمها الأخير، صباح الجمعة الرابع عشر من تموز العام ١٩٤٤، استراحة نقاهة قصيرة وغادرت برفقة صديقها ماري قلادة برحلتها الأخيرة إلى منطقة راس البر. فقد سائق سيارة الموت وربما بشكل مدير سيطرته على المقود فغطست العجلات في قاع نهر النيل..وسجل الحادث المدير ضد مجهول خاطفاً معه أحد أبرز الأصوات الشرقية الواعدة.

نجح "أسمهان" في شد اهتمام المشاهد نحو دراما عربية مثيرة تمكنت من إعادة مجد تاريخي لمطربة راحلة إلى الشاشة الصغيرة، وأبدعت في طرح القضايا المتداخلة التي تعصف بفنانة موهوبة وجميلة، وقدرة سيناريو على نسج تفاصيل العالم السري الخاص بالمطربة وحجم جرأتها الاجتماعية في التعاطي مع رجال الحكم والنخبة المثقفة وبتوقيع المخرج التونسي القدير شوقي الماجري.

أثبتت الفنانة السورية المتألقة سلاف فواخرجي قدرتها على تقمص دور الشخصية، متفاعلة بصدق وإحساس على وقع الأغنيات القديمة التي أدتها ببراعة السورية الصاعدة وعد البحري..لم يتبق للمتابع سوى اكتشاف حقيقة القاتل الغامض وسر الرحلة الأخيرة حتى تكتمل عناصر نجاح دراما عربية مبدعة أثار الإعجاب وخطفت الأبصار وحلقت عالياً فوق الصراخ المبتذل بشأن ريادية الدراما السورية أم المصرية!؟

## جروح تفتق في كل مناسبة

غزة - فايز أبووعون

«أجمل الأمهات التي انتظرت ابنها، أجمل الأمهات التي انتظرتَه وعادَ، عادَ مستشهداً، فبكتْ دمعتين ووردة، ولم تنزوَ في ثياب الحداد، لم تَنتهِ الحرب، لكنَّه عادَ، ذابِلةٌ بندقيتهُ، ويداهُ محايدتان».

بهذه الأبيات الشعرية التي حفظتها عن ظهر قلب، كونها من الناشطات النسويات في غزة، ظلت المواطنة ابتسام المجدلاوي «أبووعون»، شقيقة الأسير محمد الذي يقبع في سجون الاحتلال الإسرائيلي، تدندن بها وهي تُمسدُ بيديها على رأس والدها، المسجى جسده دون حراك يُذكر، إلا من زفرت شهيقي وزفير يخرج من رثتيه بمساعدة الأجهزة الطبية فقط، على سرير مستشفى الشفاء شرق مدينة غزة، وبجواره من الجهة المقابلة والدتها التي لا تفارقه فقط إلا للصلاة أو لتناول طعام الإفطار.

وحين أوضحنا لها أن مثل هذه القصيدة تُقال للأُم التي يعود ابنها مستشهداً من ساحة المعركة، قالت: «وما بالك في ابن وأخ سيعود من سجنه بعد طول انتظار، وسيرى والده وهو بين الحياة والموت، لا يُحرك ساكناً، ولا يُسكن متحركاً في مكانه، وسيرى أطلال منزله الذي وُلد وترعرع فيه بعد أن هدمته سلطات الاحتلال الإسرائيلي قبيل انسحابها من القطاع بأشهر قليلة، وسيرى تجارته التي كانت مزدهرة قبل اعتقاله، قد تبخرت وأصبحت أثراً بعد عين، وصديق طفولته الحميم قد استشهد وأصبح في خبر كان». «هل نتوقع أن محمد سيعود كما كان قبل اعتقاله في العام ٢٠٠٣؟ لا إنه سيعود وقد تغير عليه كل شيء، سيعود كالميت، لأن المعتقلين في سجون الاحتلال جميعهم كالأموات مع وقف التنفيذ، وخاصة المعتقلين من سكان قطاع غزة المحرومين منذ أكثر من ثلاثة أعوام من زيارة أي من ذويهم لهم، والمحرومين أيضاً من تلقي الرسائل، ومن الاتصالات التي تجري أحياناً بين السجناء وأهاليهم من داخل السجن».

وتضيف ابتسام قائلة: «كم كنا جميعاً متأملين أن يخرج شقيقنا ضمن فوج الأسرى الذين أُفرج عنهم مؤخراً، في إطار ما سماه الاحتلال بحسن النوايا، لا سيما وأن موعد انتهاء مدة محكوميته البالغة خمس سنوات ونصف السنة، والإفراج عنه هو في شهر كانون الثاني المقبل، حتى يُلقى نظرة الوداع الأخيرة على والده قبل أن تصعد روحه إلى بارئها، كونه يصارع الألم منذ أن أصيب بجلطة دماغية أدت إلى إصابته بالشلل الكامل».

«خمس سنوات مرت علينا منذ اعتقال محمد وكأنها الدهر كله، لم أره فيها لحظة واحدة، ولم أسمع صوته العذب، ولا كلماته الرقيقة الحنونة، ولم تعرف أيأ من أخباره إلا من قصيصات ورق تُرسلها كل حين وحين بشكل سري مع بعض الأسرى المُفرج عنهم، أو من خلال الأسرى المحررين من محافظات الضفة الغربية الذين يتصلون بنا لطمانتنا على أحواله، خمس سنوات حُرمتنا من زيارته لنا في العيد أو في شهر رمضان الذي كان يداوم فيه على زيارة أرحامه».

وتقول ابتسام: «رغم أننا فقدنا الأمل في شفاء الوالد، ورغم أننا نفضل أن يُفرج عن الأسرى أصحاب الأحكام العالية، والذين أيضاً أمضوا سنوات طوال في الأسر، إلا أننا نتطلع إلى خروج محمد مع فوج الأسرى المنوي الإفراج عنهم قبيل عيد الفطر كبادرة حسن نية أيضاً، ليتسنى له فقط رؤية والده الذي أشار بإصبعه نحو الشرق قبيل إصابته بالجلطة الدماغية كونه لا يتكلم، وحين كتبنا له على قصاصة ورق اسم محمد وذكرناه بالمنزل الذي هدمته قوات الاحتلال، وضع يده على عينيه وبدأ يبكي بحرقة ومرارة، فبكي جميع من حوله».

وتابعت: «يبقى العيد بالنسبة لنا أسيراً، طالما أشقائنا وفلذات أكبادنا يقبعون في زنابزين العزل الانفرادية، أو خلف القضبان، وبين أربعة جدران صماء، يكابدون مرارة العيش مع سجان لا يرحم، فالعيد يطل علينا جحولا من هؤلاء الذين أضحت أيامهم متشابهة مع اعتقال أعيادهم، وأسر حريتهم، وتحويل كل مناسبة لهم إلى محطة لتجديد الوجد لديهم، ولتعميق الإحساس بالغياب والفرق الذي يقضي على كل شعور بالفرح عندهم».

وما أن أنهت ابتسام حديثها، حتى رفعت «أم عصام» والدة الأسير محمد رأسها، بعد أن كانت تسنده على يدها وهي تُطيل النظر في وجه زوجها المريض، وقد امتلأت عينها بالدموع، قائلة: «إن حالنا يا ابني يغني عن سؤالنا، فالزوج طريح الفراش بين الحياة والموت، والابن يقبع في زنابزين الاحتلال، لم نسمع عنه أي أخبار منذ زمن بعيد، والمنزل الذي آوانا ورنث في جنباته ضحكاتها، وبكت لبكاكنا ججارتها، دمر على ما فيه من أثاث، وشئتنا في بقاع الأرض داخل مخيم جباليا للجائنين».

«فمن لجوع في العام ٤٨، إلى هجرة في العام ٦٧، إلى تشرد وتمزق أسري في العام ٢٠٠٥، وما نحن ننتظر الفرج من عند الله، فحالنا في القطاع المحاصر براً وجواً وبحراً يصعب على الكافر قبل المسلم، حيث يمر علينا العيد تلو العيد وكأنه يوم عادي، لا فرح ولا ابتسامة فيه، فكل له ولد في السجون، أو شهيد تحت التراب، أو مُشرد في بلاد الغربية، أو جائع لا يجد قوت يومه ليسد فيه رمق جوع أطفاله»، فمن أين سيأتي الفرح إذن؟

وتضيف أم عصام: «كم أتمنى أن يخرج محمد قبل عيد الفطر، لئشاركننا أفراننا إن بقيَ منها شيء، وأتراننا التي تأتينا من كل شيء، فالاحتلال والحصار والقتال والقتان وإضراب المعلمين والأطباء، وترك المرضى فريسة للمرض ينهش في أجسادهم، هي عنوان مسيرتنا في هذه الحياة، فإلى متى سنبقى محرومين من الضحكة الصادقة التي تخرج من القلب، ومن البسمة التي



تُرسَم على الشفاه كباقي أبناء البشر في هذه المعمورة؟».

وما أن أنهت أم عصام حديثها، حتى أشاحت بوجهها يميناً، لتمسح دموعاً سرعان ما انسابت على وجنتيها، وهي تتمتم بكلمات لم نفهم منها إلا الدعاء والرجاء من الله أن يُفرج كرب المكروبين، ويُطلق أسر المعتقلين، حتى أكملت ابنتها ابتسام ما كانت تردده من أبيات شعرية قائلة، أجمل الأمهات التي عينها لا تنام، تظل تراقب نجماً يحوم على جثة في الظلام... لن نتراجع عن دمه المتقدم في الأرض، لن نتراجع عن حُبنا للجبال التي شربت روحه، فاكتمت شجراً جارياً نحو صيف الحقول... صامدون هنا، هنا، صامدون هنا) قرب هذا الدمار العظيم، وفي يدينا يلمع الرب، في يدينا. في القلبِ غصنُ الوفاء النضير... صامدون هنا، صامدون هنا) ... باتجاه الجدار الأخير.

## الأسيرات المحررات... بين إهمال السلطة ومجتمع ذكوري لا يرحم

هيلين نافذ بني عودة

الحيرة والمرارة تعلو كلماتها وقالت: «أثناء اليوسطة (التي تنقل الأسرى والأسيرات إلى المحاكم أو السجون الأخرى)، التقينا بعدد من الأسرى والذي أقسم أحدهم لنا أنه بعد التحرر أو الإفراج، سنعمل جاهدين على الإيفاء بحق الأسيرات وتوفير كل الدعم لهن». أضافت أنه بعد أن خرجت من الأسر بأيام، توجهت إلى مقر وزارة شؤون الأسرى، وقد علمت أن ذلك الأسير تبوأ مركزاً مهماً في الوزارة، وطلبت مقابلته للاستفسار عن برنامج للتعليم الجامعي، انتظرت ساعة كاملة دون أن يسمح لها بذلك...؟ عندها تقول: «انتابني شعور بالإحباط، وتأكدت من سياسة الإهمال التي يتبعها المعنيون بحق الأسيرات».

من المتعارف عليه أن وزارة الأسرى خصصت برامج عديدة لتأهيل الأسرى ورفع قدراتهم التعليمية والعلمية، وتطوير مهاراتهم في مختلف المجالات، لكن الوزارة لم تعط مساحة من الأمل أو هامشاً للأسيرات في تلك البرامج.

على وزارة الأسرى واجب وطني وإنساني بتوفير حياة كريمة للأسيرات بعد تحريرهن من الأسر، وإصدار تعليمات للجامعات والكليات بتسهيل إجراءات قبولهن والتحاقهن بالتعليم الجامعي، وإقرار برامج تأهيلية لرفع قدراتهن وتنمية مهاراتهم، واستحداث دائرة خاصة بالأسيرات تعمل على وضع آليات توفر من خلالها وظائف تتناسب مع عطاء ونضال هذه الشريحة من أبناء الوطن.

وأعز الأيام والشهور والسنين، ولم يحضر أحد من المسؤولين، وتغيبت وزارة شؤون الأسرى؟

وقفت إحداهن تقرأ سيرة المعذبات في زنابزين القهر وقالت: «إن معاناة الأسيرات بعد تحريرهن تفوق ما عانيته داخل الزنزانة، ففي الزنزانة كانت أجسادنا محبوسة، وأرواحنا تحوم في الوطن، كانت أحلامنا وآمالنا بعد التحرير إكمال دراستنا الجامعية، وإيجاد فرص عمل، لكن الصدمة كانت قوية، حيث لا نجد من يأخذ بيد الأسيرة، إضافة إلى المصاعب التي نواجهها عند التقدم للالتحاق بالجامعة».

غياب وزارة شؤون الأسرى عن تلك الفعالية، أكد بشكل قاطع إهمال المسؤولين والمؤسسات الرسمية للأسيرات المحررات، واللواتي يشكلن محوراً مهماً في حالة النضال الوطني، وعلى وزارة شؤون الأسرى إيجاد آلية خاصة لتقديم الدعم والإسناد للأسيرات، إذا ما أخذنا بعين الاعتبار أن عددهن قليل، قياساً بعدد الأسرى، ووضع برامج لتطوير مهاراتهم وقدراتهن، وتقديم الدعم النفسي والاجتماعي بالتعاون مع المؤسسات المختصة. والعمل على إدماج الأسيرات في عملية التطور، وتوفير مشاريع صغيرة ومساعدتهن في إيجاد فرص عمل تحقق للأسيرة الاستقلال الاقتصادي.

أسيرة أخرى حضرت من الخليل، تقدمت من الميكروفون على خجل وعلامات

وسط قاعة دعين إليها في إطار أحد مشاريع حقوق المرأة الإنسانية، وتقديم الخدمات القانونية والدعم النفسي والاجتماعي للنساء. جلسن مجموعات حول طاوولات مستديرة، يتطلعن بخوف، يحدقن بعيون أنهكها عثم الزنزانة، تقرأ في الحدقات مساحة من الإحباط والانكسار والرفض لواقع حزين مظلم، كما هو الرفض للقيود والسجون والسجان.

هن أسيرات محررات، حضرن للبحث عن يأخذ بأيديهن إلى بر الأمان، وللتعبير عن استخفاف وإهمال المؤسسات والمسؤولين وما يعانين من الإحباط وخيبة الأمل بعد تحريرهن. الأسيرة رجاء عمرو تحدثت خلال الفعالية عن مشهدين، أولهما حول مرحلة الاعتقال والتحقيق القاسي والمحكمة، وعن الحياة في المعتقل وعلاقة الأسيرة مع باقي الأسيرات. والمشهد الآخر الأكثر مأساوية، ما تتعرض له الأسيرة بعد الإفراج عنها، واستقبالها بروح ميتة، وتدخّل أفراد العائلة في أمورها، وتوجيه النقد للأسيرة من قبل المحيطين، ومحاصرتها في أجواء منزلية قاتلة، وما تعانيه الأسيرة من حالة القلق والسهر طوال الليل، وعزوفها عن تناول الطعام، إلى جانب نظرة المجتمع إلى الأسيرة المحررة، والتعامل معها بحذر، وحرمانها من تكوين صداقات جديدة، ما ينعكس عليها سلباً، وبخاصة غير المتزوجات منهن.

مشهد حزين وسط القاعة، فقد حضر من أعطين وضحين من حياتهن بأغلى

## في شهر رمضان... أهالي الأسرى يتجمعون القهر أثناء زيارة أبناءهم

### من واقع حصار غزة!!

بقلم: سما حسن

جاءت لزيارتي المرأة الخمسينية لتهنئتي بشهر رمضان، ما إن هبط جسدها على الأريكة حتى قالت: ابحتي لابني عن عروس. قلت لها: ألم يتزوج منذ أقل من عام؟ قالت ببساطة: تزوج وطلق والآن نبحت له عن عروس جديدة. قلت بدهشة: ولكني لا أعرف مطلقة أو أرملة تصلح له. ردت بدهشة تضاعف دهشتي: ومن قال إنني أريد له أرملة أو مطلقة، ابني رجل وليس امرأة، لذلك أريد له فتاة صغيرة وجميلة، وطفقت تعدد لي الصفات التي تريدها، ثم ختمت حديثها قائلة: الرجل لا يعيبه شيء، حتى لو تزوج وطلق كل يوم. مر أكثر من شهر على التحاق ابنتي بالمدرسة، ولم تتسلم كتاباً للغة الإنجليزية، ابنتي في الصف العاشر في مدرسة حكومية، وحين طالبت الموظف المسؤول عن توزيع الكتب بحقها بتسلم الكتاب: قال لها: هل أنت فقيرة ومعدمة وتلقين معونة من الأونروا والشؤون الاجتماعية.

قلت: لا

فسألها: هل تنتمين لـ«حماس» أم «فتح»؟

قالت ابنتي ببراعة: أنا مع الله فقال لها الموظف: اذن انتظري حتى ننتهي من توزيع الكتب على الفقراء والمتممين لـ«حماس» وبعدها تفكر بأمثالك. أمام الفقر والحصار في غزة، تصر المعلمات على التلميذات في المرحلة الإعدادية ارتداء المايونيز المدرسي المخصص كزي رسمي، وذلك في حال اختيار التلميذة لارتداء الجلباب الشرعي، يعني المايونيز تحت ومن فوقه الجلباب، طبعاً هناك تلميذات يخترن الجلباب الشرعي بسبب نمو أجسامهن السريع، وعدم وجود مرايايل على مقاساتهن، وإحجام أسرهن عن موافقتين ارتداء المايونيز وهن بهذا القوام، ولكن المعلمات يزدن من العيب على كاهل أرباب الأسر، فيطلبن هذا المطلب التعجيزي، ولو حسبنا بحسبة صغيرة، فإن ثمن المايونيز خمسون شيكلاً، وثمان الجلباب مائة وعشرون شيكلاً بأقل تقدير، فكيف الحال مع عدة أخوات في عائلة واحدة؟ وفي النهاية تطل علينا المعلمة والمديرة بخطبة على منبر المدرسة عن الحصار والاحتلال والصبر والتحمل والجنة مصير كل المحاصرين.

الأنفاق التي يتم حفرها بين مصر وغزة، أصبحت إحدى الطرق غير الشرعية لتهريب البضائع لغزة المحاصرة، التي باتت تفتقد الكثير من البضائع الأساسية والضرورية وخاصة الأجهزة الكهربائية، ولكن الذي يحدث أن هذه البضائع تباع بأسعار جنونية دون رقابة، ولو نظرنا إلى الأسواق الغزية، نجد سيطرة المنتجات المصرية والصينية على الملابس خصوصاً، وهذا يعتبر أمراً عسياً لأن في فترة ما قبل الحصار كان تجار الشنتنة يحملون البضائع الأجنبية من مصر، ولا يتقدم أحد لشراء أي منتج مصري من الملابس لسوء صناعتها، الملاحظ أن ربوات البيت أصبحن لا يميزن بين الجيد والغلث، فهن يصحن أطفالهن إلى الأسواق، ويشترين الملابس هذه وهن يعرفن أنها من نوع «البس مرة واحدة وارم في القمامة، أو تصبح فوطه لمسح رفوف المطبخ». فلماذا تقع النساء في هذا الشرك؟ لو قلنا أن لا يبدل لذلك؟ فلماذا لا تعيش حالة من التكيف مع الواقع؟ ماذا سيحدث لو لبس الصغار ملابس عادية يوم العيد؟ أو لو لبسوا ملابس العيد الماضي؟ ما يحدث زيادة عيب على أولياء الأمور، وفتح المجال أكثر وأكثر أمام استغلال البائعين والتجار، الذين يطلبون أعلى الأسعار ثمن بضائع هم أنفسهم يقولون عنها أنها أسوأ من سيئة. أعتقد أن الحصار فرصة لإعادة تشكيل الكثير من أنظمة حياة بعض الأسر ومن هنا يبدأ الإمساك بطوق النجاة.



الساعة الثانية ظهراً يقومون بتفتيشنا بواسطة آلة تظهر عظام الشخص، وتؤثر على صحة النساء الحوامل، وفي بعض الأحيان تقوم المجدنات بخلع ملابسنا وتفتيشنا بشكل مهين، ثم يدخلوننا أخيراً إلى الأسير وبالكاد نراه عبر زجاج عازل للصوت وغير نظيف، ونتكلم معه عبر سماعة رديئة لا نسمع فيها الصوت جيداً، خصوصاً مع وجود بقية الزوار حولنا، تستمر الزيارة لمدة ٤٥ دقيقة يتم تقليصها في رمضان إلى ٣٠».

#### رحلة العودة

بعد مرور نصف ساعة تنتهي زيارة ربما لزوجها، وتبدأ معاناة رحلة العودة إلى المنزل، الرحلة التي لا تستغرق في الوضع الطبيعي أكثر من ساعة ونصف من مدينة الخليل وحتى معتقل النقب الصحراوي. تنتظر ربما انتهاء جميع الأهالي من زيارة أبنائهم، ما يعني ساعتين إضافيتين، إما تحت أشعة الشمس الحارقة، وإما في القاعة الخائفة، ثم يعيد الجنود قصة التفتيش ذاتها رغم علمهم بما يحمله الأهالي، فهي ذات الأغراض التي رفضوا إدخالها إلى الأسير. تنطلق الحافلات من المعتقل حوالي الساعة الرابعة والنصف عصراً، وتتفاجأ بأوامر الجنود على الحواجز ذاتها التي مرت عليها في طريق الذهاب إلى المعتقل، ليعيدوا أيضاً الإهانات والتوقيف لعدة ساعات. في تلك الزيارة وصلت ربما المنزل بعيد الإفطار، شاكرة الله على رؤيتها لزوجها ذلك اليوم، وحامدة له على قرارها بعدم اصطحاب طفلتها الصغيرة ميار لتلك الزيارة، بالتحديد في شهر رمضان، تجنبا لها من معاناة لن تنساها ما عاشت.

#### أسيد... آخر زيارة

تمنع سلطات الاحتلال عائلة الأسير ناصر عبد الجواد من قرية دير بلوط من زيارته، بحجة أنها ممنوعة أمنياً، فبعد قضائه ١٢ عاماً في الأسر وإعادة اعتقاله مرة أخرى منذ سنتين، يرفض الاحتلال السماح بالزيارة لزوجته التي لم تمض معه عامين كاملين منذ زواجهما، لكن الابن الأصغر أسيد هو الأوفر حظاً بينهم، فهو لا يحمل هوية بعد ويسمح له بالزيارة وحده. يقول أسيد: «لم أمض شهر رمضان مع والدي إلا مرة واحدة في حياتي، لذلك قمت بزيارته في رمضان كي أراه وأتذكر ملامحه، لكن الزيارة لم تكن سهلة». بعد أيام قليلة سيحصل أسيد ابن الخمسة عشر ربيعاً على الهوية، ما سيمنعه من زيارة والده مرة أخرى، ليحرم الوالد من زيارة أي فرد في العائلة ويبقى حبيس الوحدة.

#### نفس الظروف السيئة

في الثالثة فجراً انطلقت الحافلة التي تقل أسيد وعشرات الأهالي المتوجهين إلى سجن مجدو لزيارة أبنائهم، ومع حاجز الارتباط شمال قلقيلية تبدأ رحلتهم مع التفتيش والانتظار. فيتم تفتيش وناثقهم ثم التفتيش الجسدي ثم فحص أغراضهم بدقة، بعد ذلك يتوجهون إلى حاجز مدينة طولكرم ليعاد تفتيشهم ومن ثم يصطحبون أهالي الأسرى من تلك المدينة ثم يتوجهون إلى سجن مجدو. عدة ساعات قضاها أسيد في رحلة الذهاب إلى سجن مجدو لزيارة والده، ويقول: «نمضي عدة ساعات جالسين في تلك الحافلات القديمة، غير المجهزة بمكيف هواء أو مقاعد مريحة، وبعد الإهانات التي نتعرض لها على الحواجز يسمح لنا بالدخول إلى مجدو».

#### من أجل نصف ساعة فقط

بعد أن وصل أسيد إلى سجن مجدو متلهفاً لرؤية والده، أجبرهم الاحتلال على الجلوس في ساحة صغيرة حارة جداً، ليس لها إلا منافذ هواء ضيقة، وبعد ساعة من الانتظار سمح الاحتلال لأعداد قليلة ببدء الزيارة وبقي الآخرون ينتظرون الدور. حان دور أسيد في رؤية والده، ومن خلف زجاج عازل وبصورة غير واضحة تماماً تمكن من ذلك، لم يعرف الإثنين عم يتحدثان، وكيف ستكفي أقل من نصف ساعة للتعبير عن شوق سنين طويلة، وكيف ستختتم هذه الدقائق رؤيتهما لبعضهما في لحظات آخر زيارة، كل ذلك لم يجب عنه سوى دموع الأب وابنه التي سيطرت على صوتيهما المخنوقين. عاد أسيد إلى بيته مع لحظات الغروب، غير مصدق بأنه لن يرى والده بعد الآن، إلا عند الإفراج عنه، فأسرع إلى أكل ثمرة الإفطار وهو يدعو: «اللهم أعد لنا أبي سالماً من الأسر عاجلاً غير أجل يارب العالمين، وتقبل صيامي لهذا اليوم».

#### رام الله - فيحاء شلش

لم يشفع شهر رمضان المبارك، لأهالي الأسرى لدى جنود الاحتلال، الذين ينتشرون على طول الرحلة، ابتداءً من الحواجز مروراً بالتفتيش وصولاً إلى المعتقل لزيارة أبنائهم الأسرى، فما زال الأهالي يشكون من الإجراءات التعسفية والذل الذي يتعرضون له أثناء زيارتهم لأبنائهم. تفرض قوات الاحتلال حزمة من الإجراءات بحق أهل الأسير التي تصفها بالأمنية، فإذا كان عدد الأسرى يزيد على ١١ ألف أسير، فإن ذلك يعني أن ١١ ألف عائلة فلسطينية على الأقل، تعاني من الحرمان من التواصل مع أبنائهم داخل الأسر، ناهيك عن آلاف العائلات الأخرى التي تقرب الأسرى بدرجة ثانية، وهي ممنوعة مطلقاً من زيارة أقاربها.

#### رحلة الذهاب

تروي ربما عمرو من مدينة دورا جنوب الخليل قصتها مع زيارة زوجها الأسير القابع في سجن النقب منذ أكثر من سنة، فالمعاناة حسب قولها تبدأ منذ التفكير بالزيارة ورحلة الوصول إلى المعتقل، أما الموعد الفعلي للخروج من المنزل يوم الزيارة فقبل أذان الفجر بنصف ساعة أي بعيد تناول طعام السحور. وتتابع: «نذهب عن طريق مدينة بئر السبع، فيوقفنا الجنود على حاجز السبع لمدة ثلاث ساعات على الأقل، ثلاث ساعات ونحن جالسون في الحافلة ننتظر مرور العمال وغيرهم، وعندما نمر يقومون بفحص هوياتنا وتصريح الزيارة وأغراضنا كلها بدقة شديدة، فتيدياً حرارة الشمس بالاشتداد علينا في تلك المنطقة الحارة أصلاً، دون وجود مكيف هواء أو غيره. بعد المرور عن حاجز بئر السبع حوالي الساعة العاشرة، تمر حافلات ذوي الأسرى على حواجز عدة بعدها، فيعيد الجنود عليها مسلسل التفتيش والتدقيق وفحص الأغراض والوثائق، رغم مرور أقل من ساعة على نفس الإجراءات عند الحاجز السابق». الانتظار الطويل، المضايقات والمعاملة العنصرية من قبل جنود الاحتلال، عمليات التفتيش وتغيير الحافلات، كلها تندرج تحت عنوان رحلة الذهاب إلى الزيارة، أما في شهر رمضان شهر الرحمة والغفران فيغير الاحتلال هذه القوانين لجعلها أكثر صعوبة من ذي قبل وليفرض على الأهالي الصائمين قوانين ترهقهم وتزيد عذابهم.

#### وأخيراً.. الزيارة

بعد رحلة تستمر أكثر من ست ساعات للوصول إلى سجن النقب الصحراوي، تنزل ربما مع مئتي شخص إلى ساحة صغيرة تكاد لا تتسع لهم، فيأتي الجنود متفاحرين بعتادهم ومعداتهم الثقيلة، أمرين الأهالي بإدخال كل ما يحملون من أغراض وحاجيات عبر طاقة صغيرة في الجدار لا تزيد مساحتها على ٨٠ سم. ورغم التزام الأهالي بتعليمات سلطات الاحتلال حول الأغراض التي يحضرونها للأسير، إلا أن الجنود وفي كل مرة يغيرون التعليمات حسب «مزاجهم» كما تقول ربما، وتضيف: «في إحدى الزيارات أحضرت لزوجي بنطالاً لونه زيتي غامق يشبه الأسود، فرفض الجندي إدخاله من النافذة الصغيرة وقال لي: (هذا اللون ممنوع في المرة القادمة اجلب لي لونا أسود)، وفي آخر مرة أحضرت اللون الأسود فقال لي نفس الجندي هذا اللون ممنوع أحضري لونا آخر».

بعد الانتهاء من إملاء أوامر الجنود وتعكير أذهان الأهالي بعدم إدخال نصف ما يحملون من حاجيات لأبنهم الأسير، ينتظرون لمدة لا تقل عن أربع ساعات في قاعة حارة غير مجهزة بشيء من ظروف الراحة، ويتعرضون للمطالبة في عمليات الإدخال إلى قاعة الزيارة، وفي بعض الأحيان يتفاجأ الأهالي بإنكار إدارة السجن لوجود ابنهم الأسير. وتضيف ربما: «عندما تحين الزيارة في

## معاناة تجدد في كل عيد



عليهم خلال أيام شهر رمضان المبارك، وتزداد الزيارات للمقابر في الأيام العشر الأواخر من رمضان، وأيام الأعياد، وإن كانت زيارة المقابر في الأعياد منهي عنها، لأنها تعيد المواجه والأحزان في هذه الأيام التي خصصها المولى عز وجل لإدخال البهجة والسرور إلى قلوب عباده.

وهذه أرملة الشهيد محمد مقداد من خان يونس، الشابة منال مقداد البالغة من العمر ٢٦ عاماً، تأتي أن تتزوج وتترك نجليها هشام وياسمين، رغم مضي ست سنوات على استشهاد زوجها خلال تصديه لإحدى عمليات التوغل الإسرائيلية في مخيم خان يونس.

ومنذ استشهاد زوجها، اعتادت «منال» برفقة طفليها هشام وياسمين على زيارة قبر زوجها وأبيهم كل بضعة أشهر، وخاصة خلال شهر رمضان المبارك في مقبرة خان يونس الغربية، وتقوم بتوزيع الصدقات على روحه الطاهرة، رغم سوء ظروفها المادية، إضافة إلى توزيع التمر والحلوى على زوار المقبرة والمحترجين. وتقول: «أوزع ما أقدر عليه عن روح زوجي الشهيد، وخاصة أمام أبنائي، حتى أعلمهم أن يتصدقوا عن روح أبيهم عندما يكبرون».

وتقول منال: «بعد استشهاد زوجي محمد الذي كان يعمل مدرساً، أجلس مع أطفالي وأروي لهم ذكرياتي مع أبيهم، وقصص بطولاته ومعاركه مع قوات الاحتلال الإسرائيلي، وصفاته وأخلاقه حتى يكون قدوة لهم، فهم حرموا منه صغاراً، حتى البنت ياسمين لم يرها لأنني كنت حاملاً بها عندما استشهد، وفي كل الأعياد لا أجد سوى البكاء عندما أرى أبنائي وحدهم بين الأطفال، محرومين من طلة أبيهم عليهم وعناقهم وإدخال الفرحة عليهم، وأحاول تعويضهم قدر استطاعتي، وأتمزق ألماً وحسرة عندما يأتون ويقولون لي إن طفلاً من الحارة قال لهم إن لعبته اشتراها له أبوه، ولكن هذا قدرهم أن يستشهد أبوهم دفاعاً عنهم وعن الوطن».

### حكايات لا تنتهي

حكايات الألم ومعاناة أسر الشهداء لا تتوقف ولا تنتهي، فهذا والد الشهيد فادي دوحان يحترق كل عيد، وفي شهر رمضان من حسرته على فراق نجله الأكبر، الذي قضى شهيداً في عملية استشهادية خلال اقتحامه مع مجموعة من زملائه إحدى المستوطنات في شهر أيار من العام ٢٠٠٤، وإن كان عزاؤه أن نجله مضى حيث أحب. فقد اعتاد خالد دوحان والد الشهيد فادي، أن يقوم بزيارته في قبره في الأعياد وأيام شهر رمضان المبارك، ويوزع أكاليل الزهور والريحان على قبره بجوار قبر جده الحاج محمود في مقبرة خان يونس. ويقول إن ألم فراق الابن لا يوازيه ألم أو حزن، ولكنها مشيئة الله لا بد أن تمضي.

ويضيف: «لا يمر يوم أو إفتار إلا وأرى صورة وجه نجلي فادي أمامي، وأتذكره عندما أقوم إلى السحور، لدرجة أنني أهم لأنادي عليه مع إخوته ليقوم إلى السحور، ولكن سرعان ما أتدرك نفسي، ويتجدد الحزن بداخلي، ولكن ما يواسيني أنني أذكره وأروي حكاياته لإخوته الذين يقومون بالتخفيف من حزني عليه». وكان الشهيد «فادي خالد محمود دوحان»، استشهد وهو لم يتجاوز من العمر العشرين عاماً كما يقول والده، ويضيف: «منذ صغره كان يقارع قوات الاحتلال الإسرائيلي وعشق المقاومة، وكان ودوداً ويحب جده كثيراً لأنه من ربه، وعندما غادر جده الحاج محمود الحياة، يبدو أنه أبى إلا أن يلحق بجده بعد شهرين من وفاته».

حكايات أسر الشهداء ومعاناتها لا نهاية لها، فالتم الفراق كبير لا يحويه مضي الأيام والسنين، وإن هدأت الخواطر والنفوس إيماناً بقضاء الله ومشيئته، وإنهم شهداء قضوا في سبيل هدف نبيل هو تحرير الوطن المسلوب.

### غزة - حسن دوحان

جمهورية كبيرة، بعد أن احتجزوا جثمانه الطاهر ولم يسمحوا سوى لعشرة من أهله بدفنه ليلاً، وقاموا باقتحام بيت العزاء وتخريبه أيضاً».

### أتخيله حياً

ورغم مضي سبعة عشر عاماً على استشهاد نجلها، تقول الحاجة أم فهمي: «رغم ضعف نظري إلا أنه يتخيل لي أن نجلي معين حياً، ويمر من أمامي كل صباح، وأقتنقه كثيراً على موائد إفتار شهر رمضان المبارك وفي الأعياد، وأتمنى أن يأتي يوم العيد لأقبله، وأجلس وحيدة صباح يوم العيد أتذكر لمساته وبسمته ووجهه الذي لم يفارق خيالي منذ استشهاد، ولكن أعود وأقول، لله ما أعطى، ولله ما أخذ، وإنا لله وإنا إليه راجعون، وأقوم بتوزيع العيديات على أبناء نجلي فهمي، وأحب نجله الأكبر كثيراً لأن اسمه «معين».

وتتنوع قصص معاناة أهالي الشهداء وأمهات وآباء الشهداء، وإن تشابهت في الألم إلى حد كبير، ولا تدري سوى المقابر حجم وكبر الألم الذي يخلفه فراق الأحبة. ففي قطاع غزة تكثر زيارة أهالي الشهداء لقبور أبنائهم، والترحم

في مقبرة رفح الشرقية، جلست الحاجة «أم فهمي» والدموع تحتبس في عينيها، تقرأ القرآن على قبر نجلها الشهيد معين دامو، الذي قضى نحبه قبل سبعة عشر عاماً في الانتفاضة الأولى عن عمر ١٩ عاماً، فالحاجة «أم فهمي» ورغم كبر سننها الذي تجاوز السبعين عاماً وعدم مقدرتها على الحركة، تأتي إلا أن تزور قبر نجلها الشهيد معين، خلال الأيام العشرة الأواخر من شهر رمضان من كل عام، وتجلس لساعات طويلة تقرأ القرآن، وتدعو لنجلها بالمغفرة وتستعيد ذكرياتها. ويصطحب الحاجة «أم فهمي» نجلها الوحيد فهمي في زيارتها لقبر شقيقه معين كل عام، وتقوم برش قبر نجلها بالمياه، وتوزيع الحلوى أو الكعك على زوار المقابر والأطفال من القاطنين بجوار المقبرة. ورغم إيمانها بقضاء الله إلا أنها تجهش بالبكاء الذي تقول إنه يخفف عن نفسها ألم فراقه، وتضيف: «لقد مضى نجلي شهيداً دفاعاً عن أهله ووطنه برصاص قوات الاحتلال الإسرائيلي، في الخامس عشر من شهر أيار العام ١٩٩١، ومنعتنا قوات الاحتلال الإسرائيلي من تشييعه ككل الشهداء في جنازة

## البالة والبسات ملاذ الفلسطينيين قبيل العيد

نابلس: حنين السايح



لست مستاءً كثيراً من الأوضاع، بل سأبقى متفائلاً أكثر بقدم الناس للتسوق من البسات، نظراً لأنها الأرخص، وأن هذا ما يطلبه الناس في هذه الأوقات». ويتابع مهندي: «أسعارنا رخيصة مقارنة مع المحلات التجارية، فنحن لا ندفع ماء ولا كهرباء ولا رسوم استئجار ولا ضرائب، وبالتالي هذا ما يقلل سعر بضاعتنا عن تلك التي في المحلات».

شراء مستلزماتهم منها، لا سيما أن كثيراً منها ليس قديماً كما يعتقد كثير من المواطنين، بل إن بعضها يواكب أحدث خطوط الموضة، خاصة أنه يتم جلبه من دول أوروبية.

وأكد سمير حسن من إحدى قرى مدينة طولكرم، أنه اشترى بنطلوناً وقميصاً وحذاءً بسعر لا يتجاوز ٤٠ شيكلاً، مضيفاً أن ثمنها في محلات بيع الملابس يتجاوز ١٠٠ شيكل على الأقل.

ويقول سمير إنه اعتاد سنوياً ومع حلول العيد اصطحاب أبنائه السبعة معه إلى السوق وشراء الملابس الجديدة لهم، ولكن هذا العام وبسبب فقدانه لعمله وانضمامه لقطار البطالة منذ ما يزيد عن العام، قرر اصطحابهم إلى هذه السوق، في محاولة منه لحل مشكلة كسوة العيد لإعادة البسمة لوجوههم ولو بالشئ القليل. وأشار إلى أن دخله الضئيل لا يكفي متطلبات بيته من مأكول ومشرب ولا يتعدى المائة دينار، معظمها مساعدات تقدم له من وزارة الشؤون الاجتماعية ولجنة الزكاة وأهل الخير في المدينة.

### البسطة هي المنقذ

ولم يقتصر الأمر على سوق البالة فقط، بل إن البسات أصبحت مبتغى العديد من المواطنين، حيث تعد في مدينة نابلس هي المكان الأكثر ريادة من قبل عامة الناس، وحتى الأغنياء يفضلونها في كثير من الأحيان.

وتتصف مدينة نابلس بالإضافة إلى كثرة محلات البيع فيها، بوجود عدد كبير من البسات التي أصبحت تحتوي على كل شيء داخل المحلات، وتمتاز عنها بأنها رخيصة الثمن عن غيرها من المحلات.

وبهذا تؤكد أم أحمد أنها اعتادت ارتياد البسات وقالت: «لقد أتيت اليوم لاشترى لأبنائي ملابس العيد، انتم تعرفون الأوضاع الصعبة التي نعيشها، وهذا ما دفعني لأشترى أغراضي من على البسات المتجولة، لأنها أرخص إلى حد كبير من تلك التي في المحلات، وكما أن البسات أصبحت تحتوي على جميع الأشياء التي نبحث عنها في أماكن البيع الرئيسية».

ويقول مهندي أحمد صاحب إحدى البسات: «الإقبال ضعيف مقارنة مع السنوات السابقة، بسبب الظروف الصعبة التي يمر بها الناس، ومع ذلك فانا

تشهد أسواق البالة «القديم والمستخدم» والبسات في المدن الفلسطينية إقبالاً متزايداً من جانب المواطنين قبل حلول عيد الفطر المبارك، حيث يقوم الفلسطينيون بشراء مستلزماتهم الخاصة بعيد الفطر من تلك الأسواق، وذلك بسبب سوء الأحوال الاقتصادية جراء الحصار المفروض من جانب قوات الاحتلال الإسرائيلي على المدن الفلسطينية، وخاصة مدينة نابلس.

وقد شهدت أسواق البالة وعربات البسطة المنتشرة على جانبي الطرقات رواجاً وإقداماً كبيراً من قبل المواطنين في هذه الأيام، وتنوع وجود المواطنين فيها على اختلاف طبقاتهم ومستوياتهم الاقتصادية، باحثين عن حاجياتهم التي يجدونها بحالة جيدة وأرخص من المحلات الرسمية كما يقولون.

وفي جولة في سوق بالة مدينة نابلس أكد كثير من الرواد لهذه السوق، أنهم يأتون إليه يومياً لشراء مستلزماتهم.

وقال الحاج يوسف أبو عمر من مخيم بلاطة شرق المدينة أن سوق البالة بالنسبة إليها أصبحت ملاذاً دائماً، «حيث أذهب إليه بشكل يومي، وأشترى معظم ما يلزمي منه، وأنا أشترى منها على مدار السنة، لكنني في الأعياد والمناسبات أحاول أن أشترى الإصلاح والأفضل، والتي لا تكلفني كثيراً، ومهما كانت هذه البضاعة هي بكل الأحوال أفضل بالنسبة لي من المحال التجارية».

### الباله هي المنقذ

ولكن أم سعيد أم لأربعة أطفال وفي العقد الرابع من عمرها، وجدناها تقلب الملابس والأغراض المعروضة، عليها تجد ما تبحث عنه لأطفالها قبل حلول عيد الفطر المبارك، قائلة: «أنا أرملة منذ ٣ سنوات، لا أستطيع توفير كل احتياجات أسرتي، والعيد مقبل على أطفالي ولا ملابس لديهم، فأردت أن أفرحهم بملابس جديدة للعيد، هي ليست بالجديدة ولكنني سأقوم على غسلها وكيها من جديد، فماذا أستطيع أن أفعل وأنا بهذا الوضع، لا معيل لأطفالي».

وتضيف أم سعيد، لم أحصل على مساعدات منذ شهور عدة، وقيل رمضان كانت افتتاحية المدارس وصرفت ما ادخرته لتجهيز أطفالي للمدرسة، وسوق البالة أتوجه إليه في كل مرة لتجهيز أطفالي، لأن أسعاره تتناسب مع دخلي».

ويرى العديد من المواطنين أن انخفاض الأثمان في هذه الأسواق يشجعهم على

## العيد... فرحة وقلق!

بقلم: سهير قاسم

«لا أحب العيد، والدتي تخشاه؛ لأننا نريد أن نكون مثل الآخرين، والدنا مسافر، هل ستتدبر والدتنا أمرنا». استمعت إلى الطفل سمير صديقة في أحد الأحياء وهو يتحدث لأخيه الأصغر، كانا يجلسان قريباً من المدرسة بعد مغادرتها. انطلقت تلك الكلمات البريئة من شفتيه بداية بتناقل، لكنها عبّرت عن الكثير مما يجول بخاطره، لسانه لا يعرف التصنع أو الكذب، إنه الطفل الذي لم يتجاوز العاشرة من العمر.

ينتمي الطفل لأسرة فقيرة، الوالدة غير مسورة الحال، من أولئك الذين يتكبدون مصاريف كثيرة ولا طاقة لهم بها في العيد، إنهم يتحملون عناء في توفير احتياجات أطفالهم. يصيبيهم ضيق وضجر، تلك حالة طبيعية بالنسبة إليهم، كيف لا وهي أم لخمسة أطفال «تعمل ليل نهار لتوفير احتياجات أسرته، تجد صعوبة ومعاناة في تأمين قوتهم اليومي ومسؤولية تعليمهم كذلك».

أم سمير لم تكن تتجاوز الثلاثين من العمر عندما هاجر زوجها إلى الخارج، هارباً من الفقر الذي لحق به، تاركا أسرة تتكون من زوجة وأطفال، أكبرهم يبلغ الثانية عشرة من العمر، فرّ خلفاً لأطفاله للقدر ولزوجة لا ذنب لها، إلا أنها زوجته، مضت سنوات دون أن يعود أو يفكر، حتى اللحظة، بالعودة إلى وطنه، الأغب من ذلك انقطاع أخباره عنهم وهو من سافر لأجلهم، على حد قوله؛ لتحسين ظروفه المعيشية.

يعتبر العيد فرحة للكثيرين في مجتمعنا، وفي المجتمعات العربية والإسلامية، يتلذذون ويسعدون به، أولئك الذين يجدون ما يسدون به حاجاتهم ويزيد، يوفرون لأطفالهم ما يطلبون، لكن أولئك الأطفال الذين يعيشون الفرحة منقوصة، مثل أسرة أم سمير، لا يجدون من يشتري لهم ملابس جديدة يفرحون بها، إضافة إلى أنهم لا يجدون والدهم كذلك.

تحدثت إلى ذلك الطفل الذي اخترقت كلماته أذني، سألته عن تلك الكلمات التي أطلقها، لم يشعر بالخجل، لم يتردد في الإجابة، على النقيض من ذلك، أحس برغبة في الحديث معي، علاصوته قائلاً: «يحق لي الحياة مثل الأطفال، أحب العيد، لكنني أشفق على والدتي التي تبكي لأجلنا». تحدثت عن والدته وكيف تضاعف جهودها من أجل عدم إشعار أطفالها بأي تقصير تجاههم، لا تترك فرصة دون عمل كي توفر مستلزماتهم، ترى أن أطفالها لا يعيشون في المجتمع وهدمهم، إنهم يختلطون بأقرانهم من الأطفال، جيرانهم وأقاربهم وأصدقائهم يعيشون ظروفًا اعتيادية، كيف لا تحقق رغبات أطفالها إذن!

إن حال أسرة «أم سمير» وأطفالها لتأسر القلوب، وتطلق العنان للعقول كي تحلق بعيداً نحو العديد من الأسر التي تمر بظروف عصيبة، وربما أكثر من ذلك، كيف يتدبرون أمورهم؟ ربما يقدم المجتمع لقسم منهم بعض الشيء، لكن ما بال الذين يكتمون ولا يظهرون فقرهم، هل يتنبّه إليهم أحد، قد ينساهم المجتمع، قد نتذكرهم عيداً وننسأهم آخر!

سمير نموذج لطفل صغير، عقله تجاوز عمره، أدرك مأساة والدته وهمها مبكراً، هو يعاني الفقر، وغياب الوالد، لكن مجتمعنا الفلسطيني على وجه الخصوص فيه الكثير ممن يعانون، فهناك أطفال الأسرى والأسيرات والشهداء وغيرهم بحكم الاحتلال، الذي ترك أثراً وما زال.

هناك العديد من السلوكيات التي قد تؤثر إيجاباً على هؤلاء الأطفال الذين يحسب ذوهم ألف حساب، ويعدون العدة للحصول على القليل من المال؛ في الوقت الذي يبذّر فيه آخرون دون حساب وحدث ولا حرج! من يتحمل مسؤولية هؤلاء في المجتمع؟ فوالد سمير مثلاً تتصل من مسؤولياته، ما دور المجتمع تجاههم؟ هل يكفي بالبحث عن المسببات والفاعل، وننسى أو نتناسى الضحايا على الأرض، خاصة إذا كانت شريحة الأطفال هم الضحايا؟!.

### مساعدة

وقالت راضية: «اعتاد أشقائي تقديم عيدي لي، ومع أنها قليلة لكنها تليج احتياجاتي، وبعد وفاة أخي ظل أبناؤه يزوروني في كل عيد ويقدمونها لي، وحتى قبل العيد يأتون لزيارتي ويحضرون لي بعض الأغراض للمنزل، وكذلك يعطونني بعض النقود».

وأضافت: «بصراحة لا أشعر أن العيدي هي بمثابة امتنان من أقربائي علي، وإنما هي واجب منهم تجاهي ولكن بطريقة أخرى، فهم يقدمون لي المساعدة قبل العيد، وهذا واجبهم تجاهي، ولست أنا من يقول ذلك وإنما هم، والدليل زيارتهم لي على مدار العام، وتلبيتهم لمطالبي».

لكن حال نهى سعيد ليس كحال راضية، فهي منذ تزوجت خرجت من نطاق عائلتها، ولم تعد منهم أو فيهم.

وأضافت: «منذ خمسة عشر عاماً تزوجت أحد أبناء قريتي، ورغم أن أهلي من القرية ذاتها، إلا أنني اعتبرت أنني لست من العائلة، وصار كل أخ من إخوتي له عمله وله أسرته بعد وفاة أمي وأبي، وأصبحت أعاني الأمرين من قلة زيارتهم لي، ولا يتعرفون علي إلا في شهر رمضان لدعوتي إلى إفطار في أحد أيام الشهر، وفي الأعياد فقط، ورغم أنهم لا يقدمون لي المال الكثير في العيد، إلا أن زيارتهم تكون وكأنهم في مهمة ويريدون أن ينتهوا منها بأقصى سرعة».

### زيارتهم أهم

وأردفت نهى تقول: «عادة أرفض أخذ العيدي، لأن زيارتهم تكفي حتى بدون هدايا، ومراراً حاولت أن أخبرهم أنهم سئد لي بعد الله وزوجي، إلا أنهم لا يعيروا هذا الكلام أي اهتمام، ولكني ما زلت أرفض أخذها وأخبرهم أنني لست متسولة، وإنما شقيقة لهم وعليهم واجب زيارتي فقط».

وعلى غرار نهى وجدنا أم مصطفى أمين من مدينة نابلس، حيث إنها ترى أن واجب الزيارة بالنسبة لإخوتها هو أولى من واجب أن يقدموا لها العيدي.

وأضافت أم مصطفى: «منذ أن تزوجت قبل عشرين عاماً اعتاد أقربائي من الرجال وخاصة المقربين علي زيارتي في الأعياد، ورغم أنهم يريدون اعتبارها زيارة رسمية من خلال إعطائي العيدي، ولكني لا أقبل ذلك، فما يهمني هو زيارتهم لي، وإطلاعهم علي حالي، وأن أفتخر بهم أمام أقارب زوجي، وهذا ما يهمني فقط».

ولكن محمد صالح رأى أن العيدي هي ليست مساعدة أو منة على المرأة، وإنما هي عادة اعتاد الأهل تقديمها لها، وهي بمثابة تأكيد لأواصر المحبة والشعور بقراب الأب من ابنته وأخته، وكذلك الإخوة.

ويقول صالح: «لا أرى في العيدي سوى واجب اتبعناه منذ زمن، ولكن لا يعني أنني حين أقدم لإحدى قريباتي هذه العيدي لأنني أزرورها في العيد وأعطيهما نقوداً، ولكن لأن ذلك عرفاً وعادة تعودناها، وأنا أزر قريباتي بشكل متكرر كل أسبوع أو أكثر».

أبو عمر يرى أن العيدي لم تعد كما كانت من قبل، تنم عن مشاعر محبة وود بين الرجل والمرأة، وإنما أصبحت كامر يريد الرجل أن ينتهي منه، وهناك كثير من الرجال قلسوا عيدياتهم لقريباتهم من عشرين مثلاً إلى عشرة والآن إلى خمسة كما قال.

وأضافت: «أنا أرى أن العيدي لم يعد لها طعم، ولم تعد تهم أختي أو ابنتي، ولذلك أنا اختصرت على نفسي هذا العناء، وصرت أخذ معي هدية أخرى كالحلوى أو ضمة ورد فقط».

يتحدث إلينا بينما يواصل البيع.

يصف أبو رجب إقبال المواطنين على شراء الخروب خلال شهر رمضان فيقول: «أنا أبيع الخروب طوال السنة، لكن في رمضان يزداد الإقبال بصورة كبيرة، لدرجة أنني قد أبيع كل ما أعدته ولا زال الطلب مستمراً».

ويضيف: «صحيح أن هذه بركات شهر رمضان لنسترزق، ولكن الأمر أيضاً مرتبط بعادات قديمة، حيث اعتاد أهل غزة على شرب الخروب في رمضان، حتى أن كثيراً من الناس لا تشتريه طوال السنة، لكنهم لا يستغنون عنه أبداً على مائدة إفطارهم».

### أسرار المهنة

كلما امتزج طعم الخروب بسنوات خبرة طويلة لبائعه، زاد مذاقه تميزاً، أبو رجب الذي لم يتجاوز بعد الستين عاماً، يعمل على إعداد الخروب وبيعه منذ أكثر من خمسة وثلاثين عاماً، حيث يبدع في إتقانه بطريقته الخاصة التي جعلت منه أشهر بائعي الخروب في سوق الزاوية.

وعن طريقة إعداده للمشروب يقول: «أقوم بنقع قرون الخروب في وعاء مليء بالماء، وله من الأسفل حنقفة، لمدة ست ساعات على الأقل، ثم أقوم بعد ذلك بفتح الحنقفة لينزل منها منقوع الخروب في وعاء آخر، حيث أضيف إليه السكر لتخليته».

يتوقف أبو رجب هنا ليعطينا سرا من أسرار مهنته فيقول: «في هذه المرحلة من الإعداد يكون الخروب أشقر اللون، وهذا هو لونه الطبيعي، لكنني هنا أضيف إليه بعضاً من مسحوق السوس ليصبح لون الخروب أسود وذا نكهة مميزة».

ويكمل طريقة الإعداد فيقول: «أقوم بإحضار مجموعة من الأوعية الصغيرة، حيث أقوم بوضع القماش عليها، ثم أصب الخروب فوقها لينصفي داخل الأوعية دون أية شوائب».

ومع ارتفاع درجات الحرارة يضيف أبو رجب: «أستخدم ألواح الثلج حتى يظل الخروب بارداً، وغالباً ما يشتريه الناس مني مبكراً حتى يقومون بوضعه في الثلاجة، فالخروب لا يحلو إلا إذا كان بارداً جداً».

### فوائد الخروب

ورغم إقبال بعض المواطنين على المشروبات المنزلية الطبيعية، إلا أن الخروب يبقى مشروباً ذا وضع خاص، على موائد إفطارهم، تشجعهم على ذلك فوائده الجمة وثلثه القليل، فغالبا ما يلجأ الفلسطينيون خاصة مع أوضاعهم الاقتصادية الصعبة، لتوفير احتياجاتهم البسيطة بأزهد الأثمان، فيجدون في الخروب فوائد عالية، ومذاقاً مميزاً وسعراً في متناولهم جميعاً.

وليستجمع معلوماته عن فوائد الخروب توقف أبو رجب عن البيع قائلاً: «فوائد الخروب لا تحصى، فهو يجدد نشاط الجسم ويقوي المعدة ويدبر البول وينشط إفران المرارة ويهدئ من الحركة الزائدة للأعضاء، ويعالج القولون العصبي، كما ويساهم في تنظيم عملية الإخراج والتقليل من حالات الإسهال، كما ويقلل من فقد السوائل الذي يصاحب حالات الإسهال، والتي تسبب فقد الأملاح والجفاف».

وقبل أن يعاود انهماكه في البيع أضاف مبيتسما: «حلاوة الخروب ليست في فوائده فقط، يكفي أنه رفيقنا على مائدة الإفطار، الخروب صار جزءاً من شهر رمضان وجزءاً من صيامنا».

## العيدي بين العرف والهواجب

نابلس - عاطف دغلس



جاء العيد وجاءت معه حكاياته المختلفة، ملابس هنا وكعك هناك وأطعمة وأشربة من جميع الأنواع والأشكال، وجاءت مع العيد «العيدي»، وهي ما يقدمه الرجل عادة لأهله وقريباته من نقود كهدية بهذه المناسبة.

وهذه العيدي هي من وجهة نظر الرجل واجب، لكنها من وجهة نظر المرأة تعبير عن مزيد من الشعور الأخوي والمحبة بين الرجل وشقيقته أو أمه أو صلة رحمه، ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هل أن أحداً ما زال يعتبر أن العيدي هي بمثابة منة على من يقدم لها العيدي؟ وأن الأمر مجرد هم وزال عنه بدفعه لهذه الدنانير القليلة من النقود، وهل المسؤولية تجاه من تعد صلة رحم له وواجب عليه مساعدتها في عيد أو غيره تنتهي بتقديمه لهذه العيدي؟.

الأمر الذي لا يمكن إنكاره هو أن العيدي أمر عرفته العادات والتقاليد الفلسطينية خاصة، ولم تتعارض مع تعاليم الإسلام الحنيف الذي يدعو للتواصل بين الأهل والأقارب، وتقديم المساعدات والهدايا المختلفة من عيدي وغيرها لهم.

نساء كثيرات سألناهن عن العيدي، ونظرن لها نظرات مختلفة، فالسيدة راضية محمد من إحدى قرى شمال نابلس، كادت تدخل عقدها السبعين، وما زالت تتلقى العيدي من أبناء شقيقها حتى بعد وفاته.

### فوائد جمّة وثمن قليل

## أبو رجب يبيع الخروب منذ أكثر من خمسة وثلاثين عاماً

حنان أبو دغيم



كغيره من أسواق غزة القديمة، يختزل ذكريات الماضي ويحمل معاناة الحاضر، أما في شهر رمضان فالأجواء في سوق الزاوية ذات طعم مميز، خاصة مع مشروبات تقليدية كالخروب، الذي يعد جزءاً من تراث الفلسطينيين، عرفه الأجداد بفوائده الغذائية، وتوارثه الأحفاد خاصة مع وضع اقتصادي يلجأون فيه لما زادت فائدته وقل ثمنه.

### مذاق خاص

في سوق الزاوية وسط مدينة غزة يتخذ أبو رجب ركناً منذ سنوات طوال لبيع الخروب، حيث الواقف الى جوار عربته يلحظ حركة بيعة للمواطنين، الذين تجمعوا حوله بكثرة، حاولنا أن نأخذ جزءاً من وقت أبو رجب، لكن الطلب المتزايد عليه جعله



حكايات مثيرة تستوطن في صدورهن

## نساء تحت رحمة سناك خيل «حرس الحدود» في القدس

عبد الحكيم أبو جاموس

منذ عشرات السنين والنساء القرويات، يتجهن إلى المدينة سعياً وراء الرزق، يبيع المنتجات الزراعية والحيوانية لأهلها. وما زلن كذلك، يمارسن هذا الدور. وأكثر ما تجد هذه الصور والنماذج في مدينتي القدس ورام الله. هؤلاء «الحجبات» كما يسميهن البعض، يبعن الخضار والفواكه البلدية الطازجة، التي لها زبائن مميزون، ذاقوا حلاوة نكهتها الطبيعية أول مرة، فدأبوا على شرائها مرات عديدة، بعد أن خبروها وجربوها وقارنوها مع أصناف شبيهة، ولكن أين الثرى من الثريا؟! في القدس المحتلة يصطف العديد من النسوة البائعات، على طول طريق المارّة، ابتداءً من ساحة الكراج الجديد، ثم القديم (موقف الحافلات) إلى شارع صلاح الدين الشهير، وكذلك على رأس درج باب العامود، وشوارع وطرق أزقة البلدة القديمة. ولا ينقص صفاءهنّ وهنّاءهنّ غير وجوه كالحة من المجندين والمجنّدات، راجلين تارة، ومُعتملين صهوات خيول تارات، تدك سناكبها محاصيلهنّ، فتحوّل الطازج منها إلى بقايا متناثرة، لا تلبث أن تتقاذفها الأرجل وتهرسها الأقدام، لتحرّق قلوب صاحباتها اللاتي قطفنهن من ساعات الفجر، وقدمن بها عبر رحلات ومطاردات لا توصف، واجتياز حواجز لا شبيه لها على مدار التاريخ.

### سادية «حرس الحدود»

معظم هؤلاء الجنود، كما تؤكد البائعات، هم من الحرس الحدود الإسرائيلي، ويتكلمون العربية والعبرية، ويمارسون ضدهنّ أبشع أنواع الممارسات، إمعاناً منهم في إظهار مدى إخلاصهم لقادتهم في جيش الاحتلال الصهيوني، ولا يتورعون عن إهانة البائعات عبر الشتائم والسباب، وإطلاق الأوصاف اللاذعة، وكلما استنجدت إحداهنّ وذكرتهنّ بعروبتهم، أخذوا بممارسة سادية لا توصف بحقهنّ. أصيلة

## بأي حال عدت يا عيد؟!

بقلم علي ناصر

تجارة دخان مهرب، ولا هم يقبضون من جهات إقليمية ودولية لقاء مواقف سياسية، لا طبعاً فهم أناس بسطاء لا حول لهم ولا قوة. وإن أظهر أهل غزة عزة وصلابة قل مثلها في مواجهة سوء الحال واشتداد العدوان والحصار، إلا إنه وفي مثل هكذا مناسبات، يتقلب الفقراء والبؤساء - وهم سواد أهل القطاع - على جمر الحاجة والفاقة، إذ لا يجدون ما يقدموه لأطفالهم في العيد، الذي ينتظر فيه الأطفال الحلوى والملابس الجديدة والألعاب كبقايا أطفال العالم في الأعياد.

إن روح المسؤولية الغائبة، والتي يجب أن يتحلى بها القادة أينما كانوا وفي أي زمان، تستوجب من ولاة أمر الناس سواء في غزة أو رام الله، التحلي بها والتقدم بما كل ما من شأنه أن يسهل مساعي الأشقاء في مصر، التي بدأت ببقاءات مع كل الفصائل على الساحة الفلسطينية، من أجل سرعة إعادة اللحمة والوحدة لهذا الشعب المنكوب، حتى يصبح أقوى في مواجهة العدوان الإسرائيلي المتواصل في الضفة أو غزة على حد سواء، وللتخفيف من وطأة الحصار عن مواطني غزة، حتى رفع الحصار الجائر عنهم بالكامل. أخشى أن يهل هلال العيد القادم من العام القادم ولا يزال لسان الناس في القطاع يلهج: بأي حال عدت يا عيد!!!

لا شك في إنه سيمر عيد فطر هذا العام على أهالي قطاع غزة ولا زال الحصار الجائر يكوهم بسيط الفقر والعازة، وحال الانقسام والافتتال تورق مضاجعهم، وتزيد حالهم سوءاً، دونما أن يبدي القادة الذين ابتلي بهم هذا الشعب في هذه الحقبة من تاريخه، أية مسؤولية تجاه عذابات وآلام أبناء شعبهم، بل صبوا الملح على جرحهم الطري على مدار عديد.

وإذ تحذر الإحصاءات والدراسات كافة الصادرة عن منظمات إنسانية محلية ودولية عاملة في قطاع غزة، مؤخراً، من كارثة إنسانية قد تلم بسكانه الذين يقارب عددهم مليون ونصف المليون نسمة، إذا ما استمر حصارهم المتواصل منذ قرابة عام ونصف، في سجن محكم مساحته لا تتجاوز ٣٦٠ كيلو متر مربع، هي اجمالي مساحة القطاع؛ لا يبدو المسؤولين مبركين لهذه الكارثة وأبعادها على حياة المواطنين البسطاء، باستمرارهم في التنازع والصراع على مختلف الصد والمستويات.

فقراء غزة وحدهم من يدفع فاتورة هذا الوضع، فهم لا يملكون انفاقاً تدخل الحلوى والملابس الفاخرة لأطفالهم، في عيد الفطر السعيد، ولا يحتكرون بترولاً يركبهم سيارات فارهه، فيفسحون فيها لهم في عطلة العيد، ولا يتقاضون جزية من



## فتاة أوروبية تصدى لمنع استغلال المرأة في الدعاية

السويد: أنيا كارلسون فتاة سويدية تعيش في مدينة يوتبورج، كانت عائدة من عملها فلفت نظرها أربعة إعلانات كبيرة لإحدى شركات الملابس الداخلية، تظهر فيها عارضة الأزياء الألمانية كلوديا شيفر بملابس شبه عارية. عرّجت أنيا على أحد محلات الطلاء واشترت طلاءً أسوداً وطمسّت به تلك الصور الفاضحة. تقدم أصحاب الشركة بدعوى قضائية ضد كارلسون، التي أدينت بدفع غرامة قدرها ١٦ ألف كراون (١٤٠٠ دولار). تولى دفع الغرامة لجنة شكلت للدفاع عن كارلسون وتأييد ما قامت به. في تسويغها لما قامت به قالت كارلسون: أحاول منذ مدة طويلة أن أثير نقاشاً حول مشكلة الإعلانات، التي تظهر المرأة كأنها سلعة تستخدم لأغراض تجارية، نشرت المقالات ونظمت الندوات دون جدوى، لكن عندما قمت بتخريب لوحات كلوديا شيفر، لم يبق محطة تلفاز أو إذاعة أو صحيفة في السويد إلا أثارَت الموضوع، ما قمت به وما تقوم به مجموعات أخرى في دول مختلفة، هو تحذير للشركات الكبرى، بأن استخدامها لجسد المرأة في الإعلانات أسلوب خاطيء سيؤدي إلى كارثة اجتماعية.

ما قامت به كارلسون أصبح عملاً احتجاجياً مألوفاً في عدد من البلدان الأوروبية، التي تشهد جمعيات أهلية متنامية ترفض استخدام المرأة لأغراض التسويق، ففي النرويج نجحت الجمعيات النسائية المناهضة لتوظيف جسد المرأة لأغراض دعائية، في وقف حملة إعلان ملابس داخلية نسائية، بإقتناع الحكومة أن تلك الإعلانات تمثل خطراً على سائقي السيارات، وقد تؤدي إلى حوادث مميتة.

وفي فرنسا تنتشر الجمعيات النسائية التي تحارب امتحان المرأة في الإعلام، فجمعية "النساء الصحافيات"، تخصص جائزة للإعلان الأقل فضحاً، بعد أن طغت الصور الفاضحة على الإعلانات. أما جمعية "كليات الحراسة"، فتهدف إلى حراسة المرأة من الابتزاز، تقول الوثائق التعريفية للجمعية: المعلنون يستخدمون صورة الجسد بلا مبرر، ولا سيما جسد المرأة واللقطات الفاضحة، ويلصقون ذلك بأي منتج تحت غطاء الابتكار، يفرضون علينا قيمهم وخيالاتهم، نحن نرفض المظاهر المهينة وغير الإنسانية لكائنات إنسانية، الجسد الإنساني ليس سلعة، ونحن لن نشترى المنتجات المعروضة بإعلانات فاضحة.

## طلق زوجته لتطعيمها أطفالهما ضد الشلل!

نيجيريا: أمرت السلطات النيجيرية إيقاف عمدة إحدى القرى الواقعة في شمال نيجيريا عن أداء عمله، وذلك عقب قيامه بتطعيم زوجته، لأنها قامت بتطعيم أطفالها ضد مرض شلل الأطفال. وعقب هذا القرار الذي اتخذه الحاكم المحلي، أصدرت السلطات النيجيرية أمراً إلى العمدة بإرجاع زوجته مرة أخرى إلى عصمته، وإن لم ينفذ ذلك الأمر فسيتم استبعاده من منصبه بشكل نهائي.

كما ترجح الآراء، أن المسؤول النيجيري قام بتطعيم زوجته، فلما منه أن تطعيم الأطفال ما هي إلا مؤامرة تجاه المسلمين، بغرض إصابة أطفالهم بمرض العقم. وكان عدد من القادة الإسلاميين في نيجيريا، أصدروا بياناً عام ٢٠٠٣، يفيد بأن حملات تطعيم الأطفال ما هي إلا مؤامرة غربية، تهدف لجعل المسلمين غير قادرين على الإنجاب، وعقب تلك التصريحات عزف الناس عن تطعيم أبنائهم لمدة عام تقريباً، الأمر الذي أدى إلى ارتفاع حالات شلل الأطفال بشكل ملحوظ.

والجدير بالذكر أن نيجيريا تم تصنيفها وفقاً لمنظمة الصحة العالمية، أنها الدولة الإفريقية الأولى، التي يعاني أطفالها من انتشار مرض شلل الأطفال، وواحدة من أربع دول في العالم أصبح شلل الأطفال فيها مرضاً مزمناً.

## جمعية نسائية تهاجم فتوى تزويج فتيات التسع سنوات

المغرب: استنكرت الرابطة الديمقراطية لحقوق المرأة، وهي جمعية حقوقية نسائية غير حكومية، الفتوى التي أصدرها في الفترة الأخيرة شيخ جمعية الدعوة إلى القرآن والسنة بمراكش، محمد المرغوي، والتي أجاز فيها زواج الفتيات في سن التسع سنوات. واعتبر بيان أصدرته الرابطة ومقرها العاصمة الرباط، الفتوى بمثابة "تحريض على الاغتصاب والاعتداء الجنسي على الأطفال، لأن الطفلة لا يمكن أخذ رضاهما وهي لم تشغل مقعدها في المدرسة إلا لسنتين، وما تزال تلعب مع الأطفال". واعتبرت الرابطة الفتوى بأنها تحريض على الزواج المبكر.

كما اعتبرت الجمعية أن فتوى الشيخ "ضربت بمدونة الأسرة وبتفاقية حقوق الطفل، التي وقع عليها المغرب عرض الحائط، ومن ثم دعت الجمعية وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ووزارة العدل وباقي مكونات الحكومة المغربية، للتحرك من أجل شجب كل فكر من شأنه أن يحرض على الاعتداء على الطفولة باسم الدين. وطالبت الجمعية النيابة العامة بأن تسهر على احترام القانون والاتفاقيات الموقع عليها من قبل المغرب، وأن تراعي ما هو منصوص عليه في مدونة الأسرة.

يشار إلى أن الشيخ ذكر في فتواه أن "هناك فتيات في سن تسع سنوات، لهن من القدرة على النكاح ما للكبيرات من بنات العشرينات وما فوق".

## تعيين سيدتين لأول مرة سفيرتين في الخارج

الإمارات: وافق مجلس الوزراء الإماراتي على مذكرة الشيخ عبد الله بن زايد آل نهيان وزير الخارجية، التي تضمنت حركة التعيينات والترقيات والتنقلات الجديدة لسفراء الدولة في الخارج، وشملت حركة التشكيلات الجديدة تعيين امرأتين لأول مرة في منصب سفير.

وقد رحب الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم، بالتحاق أول امرأتين من بنات الإمارات كسفيرتين للدولة في الخارج، ما يعزز مشاركة الفتاة الإماراتية بفاعلية في مختلف مواقع العمل والواجب الوطني. ويضم المجلس الوطني الاتحادي الذي تشكل في كانون ثاني عام ٢٠٠٦، تسع عضوات من بين ٤٠ عضواً يمثلون إمارات الدولة كافة، في حين دخلت المرأة الإماراتية إلى الحكومة في عام ٢٠٠٤، عندما تولت الشيخة لبنى القاسمي وزارة الاقتصاد.

وضمت الحكومة الحالية التي تشكلت في شباط عام ٢٠٠٦، وزيرتين هما الشيخة لبنى القاسمي وزيرة التجارة الخارجية، ومعالي مريم الرومي وزيرة الشؤون الاجتماعية، ولحقت بهما في التعديل الذي أجري في شباط عام ٢٠٠٨، وزيرتا دولة هما معالي ريم الهاشمي ومعالي د. ميثاء الشامسي.



## قتل النساء

# قراءة في بداوة المجتمع العربي

بقلم: أحمد عرار

تعد قيم البداوة في المجتمع العربي صاحبة الدور الأكبر من حيث الأثر والتأثير في سلوك المجتمع، وذلك للتاريخ الطويل لهذه القيم البدوية وتجذرها في وجدان الضمير العربي وتشكيل هويته الجمعية، فما زالت العشائرية الريفية تسلك في الحياة مسلكاً يقارب مسلك أجدادها من بدو الصحراء، فليدنيا قيم العصبية والمشيمة والضيافة والدخالة والثار وقتل النساء غسلًا للعار، وغير ذلك من القيم البدوية..

يقول عالم الاجتماع العراقي علي الوردني: «إن مجتمعنا الراهن هو أكثر المجتمعات في العالم تآثراً بالقيم البدوية في محاسنها ومساوئها، ولعل المساوئ أوضح فيه من المحاسن».

وفي المجتمعات المتخلفة ثقافياً وفكرياً يتم إنتاج وافر أمراض خطيرة تصيب الجسد الاجتماعي، على غرار الأمراض والأوبئة التي تصيب الجسد البيولوجي، كالتطاعون والسرطان وتفتك به، لكن الأسباب في نوعية المرض هنا مختلفة، فالأمراض التي تصيب الجسد البيولوجي تسببها وتنقلها الجراثيم والفيروسات وغير ذلك، أما الأمراض التي تصيب الجسد الاجتماعي فهي «الأفكار»، الأفكار المريضة التي تهدد سلامة الكيان الاجتماعي، ومن هذه الأفكار «قضية قتل النساء على خلفية الشرف»، والتي ترتبط بالعلاقة غير السوية مع المكان والمحيط والمجتمع، فالحرمان الثقافي والاجتماعي ينشأ مع وجود علاقة صحية وطبيعية للناس والمكان، وعندما تختل معادلة التفاعل الطبيعي بين الناس والمكان يكون النمو عشوائياً، والفوضى والخلل ينتشر في كل مكان، وتستوطن الأفكار المتسرطنة واللامبالاة والعدمية واللاجدوي، وكل أنواع العفن الفكري.

قد تبدو هذه الصورة للوهلة الأولى متناقضة، فكيف يستقيم الحديث عن بداوة المجتمع في ظل هذه الأشكال المدنية العديدة، التي تمثلها مؤسسات المجتمع المدني من تعليم وصحة ومراكز ثقافية وبحفنة وأحزاب وتحالف جماعات وحركات نسائية وغيرها من مظاهر المجتمع المدني الحديث، وحول هذا اللغز وفهم هذه الصورة المتناقضة يجيب نجيب محفوظ في حوار له مع التلفزيون المصري: «الكمبيوتر والإنترنت والتكنولوجيا ووسائل النقل والمواصلات الحديثة، ما هي إلا أدوات لا تغني كثيراً في تغيير الواقع الاجتماعي، فمن السهل على الإنسان أن يترك ركب الحمار ويركب السيارة، لكن من الصعب جداً أن يقود بفن وذوق وأخلاق، أي بقيم عصر المدنية لأن ذلك يحتاج إلى تربية خاصة وإلى ثورة في مجال القيم».

هذا التناقض يبدو صارخاً جداً فيما يخص القضايا الاجتماعية، وعلى رأسها قضايا المرأة، لما تتسم به من خصوصية، لكونها تتم في مجال مشحون يتسم بالتحيزات والانتهاكات المتبادلة والتوظيف السياسي لهذه القضايا.

وبالرغم من انتقالنا من طور المجتمع البدوي والزراعي إلى المجتمع الصناعي، إلا أننا لا نزالنا مقلدين بقيم وأخلاقيات المجتمع البدوي، وقد تحدث عن ذلك زكي نجيب محمود، واصفاً هذه الحالة بأزمة القيم، أو «ازدواج القيم»، فنحن مشدودون اليوم بين قديم وجديد، نعمل بأجسادنا على نحو ونفكر بعقولنا ونحس بقلوبنا على نحو آخر، كمن يعزف على القيثارة لحناً ويغني لحناً آخر، وهذا ما عليه حالنا اليوم، فالرجل يتعلم وينادي بتحرير المرأة وبالعودة إلى مساواتها بالرجل، وهو يكتب في ذلك المقالات ويؤلف الكتب، ثم لا يلبث أن يشتعل غضباً عندما يقال عنه أنه ضعيف يشاور المرأة، أو أنه امرأة كان كلمة امرأة إهانة أو مسبة.

هذا بالإضافة إلى أشكال أخرى عديدة تعكس هذا الفصام، وحقيقة هذا المجتمع الذي يقبع في كم مخيف من الجهل والظلمية والجمود والتخلف. إننا في أمس الحاجة اليوم لإحداث ثورة في القيم، ثورة لا تتم إلا بتحرير العقل من الأساطير والخرافات وثقافة الرمزية ونفسية «عقد النقص» «والجرح النرجسي الذكوري» على الأخص، الذي يشكل محور عملية هدر المرأة وهضم حقوقها، باعتبار أن تفوق المرأة وطموحها يُعد سلباً لقيم ذكورية لا تستحقها، فتتهم بالمسترجلة، وكان المرأة مخلوق ناقص الكيان والقيمة.

إن قضية قتل النساء في المجتمع العربي، لا ترتبط بتصنيفاتها جسدياً فقط، فهذا وكما يقول مصطفى حجازي آخر مراحل الهذر، لكن المرأة مقتولة من يوم الولادة، فمع صرختها الأولى في الحياة يأتي من يضع الكمامة على فمها، لينمق صوتها «العورة»، أو يغلق عليها الأبواب وبقيم الحواجز ويدثرها بلباس خاص يواربها عن الأناظر، فهي «فتنة» وهي تشكل «عورة» يجب أن تغطي وتحمى وتحرم حتى من نور الشمس، هذه الثقافة الذكورية التي تجعل مفهوم الشرف مرتبطاً بالأنثى، التي لا تحظى بقيمة ولا تستحق الحياة، إلا بما تعطيه لهذا الذكر من إشباع لمفاهيمه وآليات سيطرته وشرفه الذكوري الخاص، فليس لهذا الذكر عذرية، بينما تشكل الأنثى هذه الحالة التي يمتنع الذكر فيها عن كونه طرفاً في قضية الشرف، فالمقتول دائماً امرأة حتى منذ الولادة، والجاني دائماً هو الذكر القاضي والجلاد.



مع اقتراب عيد الفطر المبارك

# هموم الطبقة العاملة... وغياب عن دائرة الضوء

غزة - ماجدة أحمد

الناس، تقول: "لا أدري ماذا أفعل، وماذا ساقول لها نحن بالكاد ندبر أمورنا في شهر رمضان من لجنة الزكاة، التي توفر لنا كابونة أسبوعية للظهور والسحور، ولكن الكسوة تحتاج لفلوس، وهي شبه معدومة بالنسبة لنا، خاصة وأن زوجي عاطل عن العمل منذ عشر سنوات ومريض، علماً بأنه كان في السابق يعمل تاجراً داخل الخط الأخضر، ولكن مفيش شي يبقى على حاله، وربنا يجملها بالستر علينا".

ويبدو أم علاء الأمل في أن تتمكن من إدخال البسمة على قلوب أبنائها الصغار الثلاثة فقط، وأن يرزقها الله من أهل الخير، كي تضيء بهجة وفرحة العيد على قلوب فلذات أكبابها، خاصة وأنهم يتشوقون له بعد شهر من تحمل مشاق ومتاعب الصيام.

حنان صيام من جمعية المرأة العاملة الفلسطينية للتنمية في غزة، قالت حول أزمة ومعاناة أسر العمال: "هذه الشريحة أكثر شرائح المجتمع معاناة، ولم يلتف إليها أحد من المؤسسات وصناع القرار". موضحة أن هناك زيادة ملحوظة في نسبة عدد النساء اللواتي يترددن على الجمعية لطلب العمل خدامات بيوت، وهؤلاء النساء هن زوجات لعمال سابقين، كانوا يعملون داخل الخط الأخضر وفقدوا أعمالهم.

وتتابع أن هؤلاء النساء مدفوعات للبحث عن العمل من قبل أزواجهن، بعد أن ضاقت بهن كل السبل، وصدت في وجوههن الأبواب، ما يضيف ويقامق من معاناة النساء، سيما وأنهن يعلنن أسراً كبيرة العدد، يزيد عدد أفرادها عن ثمانية، محملة المسؤولية على مؤسسات المجتمع المدني، التي لم تول هذا القطاع الاهتمام الكاف، ولم تنجح في تنفيذ مشاريع لهن منتجة للدخل، تساهم في خلاصهن من غول الفقر والعوز، معتبرة أن تقديم الكابونات الطارئة لا يحل أزمة، بقدر ما أنه يخلق مشكلات من نوع آخر، شديدة على ضرورة تبني خطط وتشريعات من قبل صناع القرار والمسؤولين، وتوفير ضمان اجتماعي لهذه الفئة المسحوقة، التي باتت تعاني الأمرين، ولم يلتفت أحد لمعاناتها المتواصلة منذ سنوات طويلة.

ورغم مبادرة كل من مركز الموارد العمالية واتحاد اللجان العمالية، لمساندة هذه الشريحة، حيث نظما عدة فعاليات مؤخرًا، للمطالبة بإعمال حقوق العمال، والنظر إلى معاناتهم بعين الاعتبار، ونقلوا مجموعة من المطالبات العمالية المتمثلة بتطبيق قانون الضمان الاجتماعي للعمال، صرف مساعدات عاجلة للعاثلين من العمل، وتقديم رسالة لكل من المسؤولين في غزة ورام الله، لحل جميع القضايا العمالية، والتخفيف من معاناة هذه الفئة المسحوقة، والنظر بعين الرحمة للعمال الفقراء، ولكن حتى اللحظة لم يتم اتخاذ أية قرارات تصب في صالح هذه الشريحة.

"أولادي تركوا المدارس لأنه مفيش فلوس اشتري لهم لبس ومتطلبات المدرسة، كيف راح أكسيهم للعيد والوضع يبسير من السيئ إلى الأسوأ؟ حتى رمضان مشينا حالنا بالعافية زي الناس على الكابونات من أهل الخير والمؤسسات".

بهذه الكلمات بدأت أم فادي حديثها لصوت النساء حول استعداداتهم لاستقبال العيد، ولسان حالها كان يكفي عن سرد كل تفاصيل شكواها، فهي زوجة رب أسرة كان يعمل داخل الخط الأخضر في سويماركت، ولكن بعد الانتفاضة الثانية فقد عمله، ومن حينها لم يعمل باستثناء فترة قصيرة اشتغل على سيارة أجره لشخص آخر، ومنذ هذا الوقت ونحن نعاني وبالكاد نجد قوت يومنا، تارة من أهل الخير وأخرى من بعض المؤسسات.

وتضيف أم فادي بدموع حارقة وصوت مختنق، لا أدري ماذا أفعل؟ ومعظم الأحيان أعجز عن الرد على أسئلة واستجوابات أبنائي، وأكتفي بالقول لهم اصبروا لعل الأمور تتغير للأحسن، وحينها ساقوم بتعويضكم وكسوتمكم وإدخال الفرحة على قلوبكم.

وتتابع أم فادي "أيام ما كان زوجي يشتغل داخل الخط الأخضر، كان وضعنا أحسن بكثير، وما كنت حارمة أولادي من شي، وكنت أكسيهم على العيد وأفرحهم، واحضر لهم إلي بدهم إياه، ولكن الآن ما باليد حيلة، يا دوب محصلين اللقمة من أيد الناس".

حال أم أنس لم يختلف كثيراً عن حال أم فادي، فهوم أسر العمال واحدة، فهم الشريحة الأكثر قهراً وظلماً في المجتمع، في الوقت الذي لم ينتبه أحد لمعاناتهم التي فاقت الثماني سنوات. تقول أم أنس، وهي لديها أسرة مكونة من خمس بنات وولد، وفقد زوجها عمله في البناء داخل الخط الأخضر منذ انتفاضة الأقصى: "كيف أكسي الأولاد للعيد؟ في الوقت الذي لم أتمكن فيه من كسوهم للمدارس، ولم استطع شراء حتى زوج جرابين لهم، واضطروا أن يذهبوا لمدارسهم بالزى القديم". وتضيف: "رغم بكاء إبنتي الصغيرة صباحاً ومساءً، ورفضها الذهاب للمدرسة بمريلها القديم البالي، لم أعرها اهتمام، ولم أكس أحد من أبنائي، وما عندهم راح يلبسوه للعيد، من وين راح نجيب لهم".

وتواصل أم أنس بلهجة يأس وحسرة: "جوزي ترك البيت وطفش، لأنه مش قادر يدفع إيجار الدار، وصرنا الآن مهدين من صاحب البيت في أي لحظة يطلعنا في حالة ما دبرنا الإيجار، وضعنا الله بعلم فيه، كيف بدنا نحس بالعيد وإحنا في المأساة هذه والمشاكل محاصراً من فوقنا لتحتنا، ربنا عالم كيف بدبر الأكل وعاشين".

هذا مجرد غيض من فيض من معاناة أسر العمال، فلم يختلف حال أم علاء عن سابقتها، فهي تداهمها الحيرة كلما بادرتها أبنيتها آية ذو العشر سنوات، بانها تريد أن تشتري للعيد، سيما وأنها لم تشتت للمدرسة وبدها تفرح مثل

# امراتان بلا ميراث

بقلم: عماد موسى

أجبن: نعم ثم جمعت الأخت الكبيرة قواها وقالت: «إن أشقاءنا لا يريدون منحناً أي متر مربع من الورثة التي تركها أبونا».

سالت المساعدة القانونية الأختين: هل معكما حصر إرث؟ فأجابت الصغرى: نعم، وتم إرسال مذكرة إحضار للإخوة، والذين حضروا لاحقاً ووقعوا على تعهد يقضي بتقسيم الأرض، ومنح كل أخت حصتها حسب الشريعة. وبعد أيام تنصل اثنان منهما من التوقيع، ورفضاً منح أختيهما الحصاص القانونية وحسب الشريعة.

ولما تم استدعاء الجميع: أخذ الأخوان بالصراخ فهرعت إلى المكتب وقلت لهما: عيب أن تتحدثوا بصوت عال وبلغه الوعيد والتهديد لشقيقتكما. بادرت بسؤال أحد الإخوة كم عمرك فقال في الستينيات والثاني أجاب: مثله.

فسالت الكبير: هل تصلي؟ فأجاب: ما بقطع فرض. هل ذهبت إلى الحج؟ فأجاب: مرتين. هل أنت صائم؟ فأجاب: نعم أنا ما بقطع في رمضان.

صمت قليلاً والتفت إليه قائلاً: هل تخاف الله؟ أجاب: نعم. فقلت لهما: طالما أنكما تخافان الله وتؤمنان بشرفه، فلماذا لا تريدان إعطاء شقيقتكما ورتتهن حسب الشريعة. وكان شيئاً طار من عقليهما فأجابا وبسرعة: «هذول مش خوات اللي بدهن يقاسمن إخوتهن في رزق أبونا. البنات ما إلهن ورثة عنا. ورتتهن مع جيرانهن». وتساوقت مع حديثه، وماذا عن غير المتزوجات أيها النقي فأجاب: «لبش شو ناقصهن، مهني بولكن وبشربن، شو بدهن أكثر من هيك». والشرع يا حاج بقول غير هيك.

أقفلت المحضر على أن تشكل لجنة لحل المشكلة، أو تحال إلى الجهات المختصة حسب الأصول. طالبت الجميع المغادرة، وقلت للمساعدة القانونية حقاً إنهما امرأتان بلا ميراث.

اقتحمت امرأتان علينا المكتب، حيث كنت أراجع بعض الأوراق مع المساعدة القانونية، وبدأتا بالحنين والبكاء بصوت مرتفع، وفي هذه اللحظة خطرت ببالنا كل أشكال العنف ضد المرأة، وكل أشكال التحرش الجنسي وكل أشكال الاغتصاب وكل أشكال هتك العرض.

بسرعة البرق وأمام المشهد الفجائي تتناوب حالة من الاستعراض الذهني لكل الحالات الواردة الذكر. بحكم التجربة في العمل والتعامل مع الجمهور ومع القضايا الواردة الذكر. تركناهن لدقائق، ثم بادرت بالحديث معهن قائلاً: «أرجو أن تتوقفن عن البكاء حتى نستمتع إلى المشكلة وإلى الشكوى».

نطقت إحداهن قائلة: «إخوتنا عملوا فينا العجب، بدهم يشحطونا بالمحاکم، صرنا عار عليهم، بهدلونا أمام الناس عشان شو، كله عشان الورثة».

تراجعت قليلاً إلى الوراء لأسند ظهري، لأن المشكلة قانونية وشرعية وسهل التعامل معها بكل الظروف. طالما أنها خرجت عن نطاق ما دار في ذهن سريعا.

التفتت المساعدة القانونية إليهن قائلة: المشكلة مشكلة ورثة؟

## دروب المعرفة

### نساء نوبل .. الفائزة بالجائزة في الآداب

مبدعات نوبل التسعة هن: الكاتبة السويدية سلمى لاجيرلوف، الكاتبة الإيطالية جراتسيا ديليدا، الكاتبة الأميركية توني موريسون، الشاعرة اليهودية نيللي ساخس، الكاتبة الإفريقية نادين جوديمر، الكاتبة البولندية فيسلافيا شيمبورسكا، الروائية النرويجية سيجيريد اندسيت، الكاتبة الأميركية بيرل بك.

تسع نساء مقابل عدد كبير من الرجال، إنما تعد نسبة قليلة - فهل يمكن القول أن هناك شبهة تعمد في إبعاد الجائزة عن المبدعات، فيما تلاشى تماما كل اسم عربي أو آسيوي من المبدعات من أفق الجائزة؟! هذا إذا افترضنا جدلا أن ثمة أسماء منها قد استدعتها ذاكرة الأكاديمية السويدية المانحة للجائزة.

### ماذا تريد الناخبات الأميركيات؟

ميليندا هينبرجر صحفية تغطي الأحداث السياسية منذ ١٩٩٤، منها ١٠ سنوات في نيويورك تايمز. في العام ٢٠٠٧ نشرت كتابا أطلقت عليه اسم «ماذا لو استمعوا لنا فقط: ماذا تريد الناخبات من السياسيين أن يسمعو». وخلال القيام بأبحاث هذا الكتاب، قضت الكاتبة ثمانية عشر شهرا في السفر عبر الولايات المتحدة والاستماع لآراء النساء من كافة الأعمار، والأجناس، والفئات الضريبية، والآراء السياسية عن كيفية قيامهن بالتصويت، وما هو محور اهتمامهن، وماذا يثير غضبهن في المرشحين من كلا الطرفين. واكتشفت أن عددا مدهلا من النساء ما زلن يتجنبن الحديث عن السياسة ويشعرن بأن الصمت يؤدي دولتهن.

نحن نصوت بناء على العاطفة. لماذا أقول ذلك؟ لأنه في كثير من الأحيان تخبرني النساء أولاً عن قضيتهم الأولى - اختيار أو بيئة أو رعاية صحية - ثم يفسرن لماذا صوتن ضد الشخص الذي يتفق معهن على القضية الأولى السابق ذكرها. والنتيجة تكون عادة ما يلي: «أنا فقط لم أحب هذا الشخص؛ لقد أحببت الشخص الآخر». أعتقد أن الجمهوريين قد أصبحوا أفضل في السيطرة على العاطفة من الديمقراطيين.

إن العديد من هذه النساء قد أخرجن أنفسهن من الحياة السياسية لأنهن يعتقدن أنها عمل قذر.

وكلما ازداد خروج النساء، زاد بالفعل انخفاض قدرة قادتنا السياسيين على الإنتماء لنا أو تمثيلنا؛ وبالتالي يجعلون السياسة أكثر قذارة. قالت العديد من النساء إنهن يرغبن في منح أصواتهن إلى الشخص الذي يعتقدن أنه يقول لهن الحقيقة، حتى لو كان ما يقوله أو تقوله لا يعبر بالضبط عما يريدن أن يسمعهن.

القضايا التي ستكون أكثر أهمية بالنسبة للنساء في انتخابات تشرين الثاني ٢٠٠٨؟ الإقتصاد، الحرب، وأسعار الوقود المرتفعة. ولكن أي مرشح سيفوز نتيجة لذلك؟ لا أحد يعرف؛ ولا سيما أنني لا أعتقد أنه بإمكانك أن ترسم خطأ مستقيماً جداً بين القضايا ونتائج الانتخابات.

### قضية سوزان تميم: استثمار «مميز» لرأس المال العربي!!

رجل أعمال يدفع «٢» مليون دولار من أجل قتل مطربة أحببت شخصاً آخر، بعد أن صرف عليها أكثر من «١٦» مليون دولار. خرجت للعلن قضية سوزان تميم وهشام طلعت لتكشف عن العفن والسفاهة الذي يمارسه الأثرياء الجدد، الذين جاءوا من الجهول ليحصلوا على مساحات شاسعة من الأراضي في ظروف غريبة، وبدلاً من أن يؤدوا واجبه تجاه المجتمع المهنس الآن بأكمله ينفقون الملايين على نزواتهم. إن إحدى الهدايا لسوزان تميم كانت حزاماً من الألباس ثمنه ثلاثمائة ألف دولار.

«هذا المبلغ يمكن أن يحل المشكلات المالية لاتحاد الكتاب، الذي يتسول نفقات العلاج اللازم لبعض أعضائه من أنبغ أبناء مصر» جمال الغيطاني.

«قد نذهب في استنتاجنا المجازي إلى أبعد من ذلك. الجريمة ثلاثية، مصري يقتل لبنانية في دبي. مركزا النهضة العربية في بدايات القرن الماضي، يلتقيان في صورة رمزية في «مدن الملح»، حيث يمتزج الملح بالدم، والشهوة بالجريمة. الصورة التي يصنعها الإعلام للبنان هي صورة الفنانة، وما يستتبعها. أما مصر فقد لخصها «غيلان رجال الأعمال». صورتان نمطيتان، تعبران عن عجز المجتمع عن انتاج صور أخرى لنفسه. لبنان غارق في انقساماته الأهلية وفي انهيار طبقته الوسطى، ومصر تحت قبضة فرقة الأمن والمال. الصورتان النمطيتان تلنقيان في مكان هو أشبه بالإستعارة. هناك ينزلون على تلج اصطناعي، ويقبضون أعلى ناطحة سحاب في العالم، ولا يدرون ماذا يفعلون بعائدات النفط التي ارتفعت أسعارها في شكل فلكي. بدأوا باستيراد عارضات الأزياء من لبنان، وانتهوا إلى ما انتهوا إليه». الياس خوري.

### إحصاءات تكشف عن اضطهاد النساء

- \* ٥٩٪ من اليابانيات، ٨٠٪ من النساء الباكستانيات، و٤٣٪ من النساء الكينيات ضحايا للعنف المنزلي.
- \* ٥ آلاف عروس يقتلن في الهند بشكل تعسفي.
- \* نصف ضحايا جرائم القتل في روسيا من النساء ويتم التنفيذ بيد الرجال.
- \* تتعرض امرأة للاغتصاب كل ٨٠ ثانية في جنوب أفريقيا.
- \* اغتصاب امرأة واحدة كل ٣ دقائق في أميركا.
- \* ثلث النساء في كندا وهولندا ونيوزيلاندا يتم استغلالهن جنسياً في مرحلة الطفولة.
- \* ٩٠٪ من من قوة العمل النسائية الريفية، التي يطلق عليها ربوات بيوت يتم استغلالها من التعريف الرسمي للفعالية الاقتصادية.
- \* النساء يعملن أكثر بـ ٣٥ ساعة في الأسبوع من الذكور.
- \* تتقاضى النساء أجراً أقل بنسبة تتراوح من ٣٠ - ٤٠٪ من أجر الذكور، في بريطانيا وإيطاليا والمانيا وفرنسا يتقاضين ٧٥٪ من أجر الذكور.
- \* تحتل النساء ٢٪ من مناصب الإدارة العالية في الأعمال. وتحتل النساء ٣٣٪ من المناصب الإدارية المتوسطة في الدول المتقدمة، و١٥٪ في إفريقيا و١٣٪ في آسيا.
- الإحصاءات لا تشير لموقع النساء العربيات في تلك العناوين!!

## إضاءات قانونية

# الالتزامات والنصوص الدولية بشأن العدالة الجنائية

الخاص بالحقوق المدنية والسياسية، أوجب إبلاغ أي شخص يتم اعتقاله بأسباب هذا الاعتقال وإبلاغه بأية تهمة توجه إليه وتقديمه للقضاء على وجه السرعة.

مجموعة من المبادئ لحماية جميع الأشخاص الذين يتعرضون لأي شكل من أشكال الاحتجاز أو السجن وقد استمرت الجهود لإنجاز المشروع الذي لا يزال قيد البحث..

وهذا المشروع يتكون من ٣٧ مبدأ تنطبق على جميع الأشخاص داخل إقليم أية دولة معينة دون تمييز من أي نوع، وهو يشهد في أحكامه على وجوب المعاملة الإنسانية لأي شكل من أشكال الاحتجاز أو السجن، مع عدم تعذيب أي حق من حقوق الإنسان الأساسية. وحصر السجن والاحتجاز بالسلطة القضائية والتأكيد على منع التعذيب. والفصل بين المدان المحكوم عليه، والموقوف، وإعلام كل معتقل بسبب اعتقاله وإتاحة حق الدفاع له بسرعة.. إلى آخر ما هنالك من مبادئ متفرعة عن الأسس الواردة في شرعة الأمم المتحدة..

وقد أفادت منظمة العفو الدولية مثلا أن أجهزة المراقبة فيها مازالت تتلقى شكاوى بشأن انتهاكات حقوق الإنسان. في أكثر من ١٢٨ بلدا. وتشمل هذه الانتهاكات ممارسات متنوعة كالوفاة أثناء الاحتجاز، والإعدام بلا محاكمة، أو محاكمة مقتضية، وعقوبة الإعدام وحالة الاختفاء القسري، والتعذيب، وغيره من ضروب المعاملة القاسية أو المهينة واللاإنسانية واحتجاز الكثيرين ممن هم أكثر عرضة للضرر كالنساء، والأطفال، وأفراد الأقليات الإثنية، والبرلمانيين، والصحافيين، والكتاب والمدافعين عن حقوق المحتجزين واحتجاز الأشخاص الذين يسعون إلى ترك البلد أو العودة إليه، والحبس الانفرادي وعمليات التوقيف والاحتجاز لأسباب مبهمه أو بلا سبب على الإطلاق والاحتجاز الإداري بدون تهمة أو محاكمة.

وقد أشير في العديد من الاجتماعات التحضيرية لمؤتمرات الأمم المتحدة لمنع الجريمة والعدالة الجنائية، إلى وجوب استحداث طرق وإجراءات أكثر فعالية لتنفيذ قواعد ومبادئ الأمم المتحدة في مجال القضاء الجنائي على المستوى الوطني. وكل ذلك يعتمد اعتماداً كبيراً على رغبة الدول الأعضاء في قبولها وتنفيذها. وإدماجها في التشريعات والممارسات الوطنية.

أكد الإعلان الصادر عام ١٩٨٥ بالقرار ٤٠ / ٣٤ الصادر عن الجمعية العمومية والقاضي بلزوم اتخاذ تدابير وطنية ودولية من أجل ضمان الاعتراف العالمي والفعال بحقوق ضحايا الجريمة وضحايا إساءة استعمال السلطة، واحترام هذه الحقوق. وطلبت إلى الدول الأعضاء اتخاذ الخطوات اللازمة لإنفاذ الأحكام الواردة في الإعلان الذي ينقسم إلى جزأين:

يتعلق أولهما بضحايا الجريمة، الذين يعرفهم بأنهم الأشخاص الذين أصيبوا بشكل فردي أو جماعي، بما في ذلك الضرر البدني أو العقلي أو المعنوية النفسية أو الخسارة الاقتصادية، أو الحرمان بدرجة كبيرة من التمتع بحقوقهم الأساسية، عن طريق أفعال أو حالات إهمال تشكل انتهاكا للقوانين الجنائية النافذة في الدول الأعضاء، بما فيها القوانين التي تحرم الإساءة الجنائية لاستعمال السلطة.

استجابتها للظروف المتغيرة وأن تقوم عند الاقتضاء بسن وتنفيذ تشريعات تحرم الأفعال التي تشكل إساءات خطيرة لاستعمال السلطة السياسية والاقتصادية.

قرار الجمعية العامة ٤٠ / ٣٤ بشأن الإعلام بلزوم اتخاذ الخطوات الهامة لإنفاذ الأحكام الواردة فيه، وبخاصة منها ما يتعلق بتنفيذ سياسات اجتماعية وصحية وتعليمية واقتصادية وسياسية، مخصصة لمنع الجريمة، وتشجيع جهود المجتمعات المحلية واشتراك الجمهور في منع الجريمة، واستعراض دوري لما لديها من قوانين وممارسات لضمان الاستجابة للظروف المتغيرة. وتشجيع الكشف عن المعلومات المناسبة لإظهار سلوك الموظفين الرسميين وسلوك الشركات أمام الجمهور ليدقق فيه وتشجيع التقيد بمدونات قواعد السلوك والآداب ولا سيما المعايير الدولية من جانب موظفي الخدمة العامة. وحصر الممارسات والإجراءات التي تقضي إلى إساءة استعمال السلطة وتشجيع ورعاية الأنشطة التدريبية والأبحاث التعاونية ذات المنحى العلمي للحد من الإيذاء ومساعدة الضحايا واستحداث الطرق والوسائل لتوفير سبل الانصاف للضحايا، وبإبلاء اهتمام مستمر لتنفيذ إعلان مبادئ العدل الأساسية المتعلقة بضحايا الإجراء والتعسف في استعمال السلطة.

وثائق الشرعية الدولية لحقوق الإنسان ونصوص أخرى في العهد الدولي

## الدرامة التلفزيونية بين الغزارة والهبوط

### مهند عبد الحميد

الشاشة الصغيرة متدفقة بالدراما أكثر من أي وقت مضى، غزارة غير مسبوقه في الإنتاج -٥٤ مسلسل مصري وما يقارب ال ٣٠ مسلسلا سوريا وخليجيا ومغربيا، كم كبير وشح في النوع، لا يوجد مسلسل نوعي يتربع على العرش كما كان عليه الحال في سنوات سابقة. التراجع في الوضع العربي يطول الدراما أيضا التي باتت تتطابق أكثر فأكثر مع الثقافة السائدة.

يجمع النقاد على وجود مسلسلات متوسطة الحال وأكثرية ضعيفة بأفكارها المكررة والمفبركة وأحيانا الساذجة. وتصبح المشاهدة للصنف الثاني مضيعة للوقت. النجوم الكبار لم يقدموا مفاجات جاذبة. ما يزيد الأمر سوءا إقحام الدعاية الترويجية في قلب المسلسلات بمستوى مبالغ فيه وضمن وظيفة إستهلاكية تقليدية مسفة، الإستثناءات في الدعاية الناجحة قليلة كما هو الحال في الدعاية حول إنفلوزا الطيور التي يقدمها شعبان عبد الرحيم باقتدار. كما أن التزام المنتجين بـ ٣٠ حلقة على امتداد أيام شهر رمضان ينعكس سلبا على مستوى المسلسل، وهذا خطأ يتكرر لأنه يلبي رغبة الممولين المتحكمين في العصب الحساس " المال " .

يأتي في مقدمة المسلسلات الأفضل التي حافظت على مستوى مقبول، المسلسل السوري الساخر " بقعة ضوء "، الذي يقوم بدور البطولة فيه الشابان باسم ياخور وأمين رضا، هذا العمل يقدم نقدا جريئا بأسلوب كوميدي، والكوميديا شحيحة الآن خلافا لأيام زمان الذي شهد العصر الذهبي للكوميديا المصرية المنعشة. المسلسل يطال بنقده الساخر مسلسل باب الحارة عندما ينظم تظاهرة احتجاجية ضد المخرج والمنتج اللذين أماتا أبو عصام في المسلسل.

النقد الأكثر جراءة كان ضد أجهزة السلطة والمسؤولين لدرجة أن جهاز الأمن الجنائي رفع قضية ضد مخرج المسلسل ومنعت سلطات القضائية السورية حلقة من المسلسل. النقد الساخر للعلاقات الإجتماعية كان أكثر جراءة، فقد سلط الضوء على الثقافة الذكورية وتداعياتها العصابية.

مسلسل حياة أسمهان فيه إتيقان لافت في أداء سلاف فواخرجي التي تقوم بدور أسمهان وورد الخال في دور الأميرة والدة أسمهان، لقد نجحتا في تقمص الشخصيات التاريخية وفي إعادتها للحياة بكل عنفوانها وتأثيرها. وتميز المسلسل بالاتقان والذوق الفني " ديكور وأزياء وتصوير وإضاءة " .

هند صبري تتألق كنجمة تلفزيونية في مسلسل " بعد الفراق " لكنها تحولت من خادمة إلى سيدة مجتمع في قفزة منزوعة السياق. وقدمت الدراما السورية مسلسل " وصمة عار " الذي يناقش الفساد في السلطة، ومسلسل " ليس سرايا " الذي يعرض علاقة المسلمين بالمسيحيين.

باب الحارة الأوسع حضورا يغرق في التفاصيل ويفتقد العمق الدرامي " شو طابخة أم عصام " " ومن سيتزوج العكيد "، طليخ وزواج وثأر وتفاصيل الحارات المملة المكررة، علما أن القائمين على المسلسل وعدوا بطرح قضايا حساسة لم تعرض حتى الآن.

مسلسل " في أيدي أمينة " للنجمة ذات الحضور المميز يسرا، يطرح قضايا مثيرة كدور الإعلام في إثارة ومعالجة قضايا المجتمع، وظاهرة خطف الأطفال والإتجار بهم. يسرا الصحافية لا يشق لها غبار، تلعب في المسلسل دور المنقذ الذي يجترح الحلول لكل المشاكل، تتفوق على رئيس التحرير وتهشمه خلافا للواقع، تحب كل الناس وتتبنى مطالبهم. يعيدنا هذا المسلسل للبطل الذي يستأثر بكل شيء، يجترح الحلول ويخرج من كل المعارك منتصرا، بعيدا عن الواقع.

النقد في حقل الثقافة يتراجع إلى أقل من الحد الأدنى، ما يسهل عملية تحول الثقافة والفن على نحو خاص إلى سلعة بمواصفات أصحاب رأس المال. التحكم بالإنتاج والتحكم بالتسويق والترويج والمشاهد ولا أقول بالناقدين يؤدي إلى ثقافة هابطة.

# مناظرة أميركية من أجل العدالة والمساواة ومبدعة تقلدت نوبل

توني موريسون:



توني موريسون رائدة ومناظرة ومثقفة أميركية لا تتوقف عن التفكير والإنتاج. ولدت الروائية الأميركية ذات الأصل الإفريقي توني موريسون في مدينة لورين بولاية أوهايو من الولايات المتحدة الأميركية عام ١٩٣١، تلخص موريسون تجربتها في الاضطهاد والتفرقة العنصرية بالقول: "اعتقد أن العنف والاضطهاد المجانين، وحملنا إلى مراكز الشرطة، ومضايقتنا في المطارات، لتهمتنا الوحيدة أننا ملونون، كانت بمثابة خبرة يومية بالنسبة لنا، نحن الأميركيين من أصل إفريقي. ولكن حالياً فإن الاضطهاد موجه ضد الجميع".

من رواياتها الشهيرة سولا ١٩٧٣، المحبوبة ١٩٧٨، جاز ١٩٩٢، الفردوس ١٩٩٧، اللعب في الظلام، وأكثر العيون زرقة، وكلها تتسم بطابعي الواقع والحلم، وتعيد بناء الأساطير في الذاكرة الثقافية للسود داخل أميركا. الأدبية الكبيرة بلغت أعلى مراتب الشهرة، وتسحرك بحضورها لما تتمتع به من بساطة في تصرفاتها ومن صوت تلمس في همساته الوار والعدوية، ومن ضحكة ترن فجأة لتدل على انسانية متفائلة لاتزال تمثل نقاء المباشرة ونضارة الكلمة.

حصلت موريسون على جائزة البوليتزر عن روايتها المحبوب عام ١٩٨٨ وجائزة نوبل عن مجمل أعمالها عام ١٩٩٣، وهي أول امرأة من أصل إفريقي - أميركي تحصل عليهما. مواقفها الإنسانية وثقافتها الواسعة وإخلاصها للواقع المعيش جعلها امرأة أميركية من طراز جديد. إنها سليلة أقلية أفريقية، ولدت في منطقة الألباما من أب وأم جنوبيين، كان والد كل منهما من قاطفي القطن ثم تحررا بعد ذلك. تابعت دراساتها العليا ويمكن تصنيفها من حيث الإبداع في مرتبة فيرجينيا وولف ووليم فوكنر. وتعتبر موريسون رائدة ومناظرة ومثقفة لا تتوقف عن التفكير والإنتاج إذ تستنطق للعمل مع مطلع الصباح. وهي سبابة إلى تحرير المرأة. ثابرت على العمل كناشرة خلال عشرين عاماً، وهي تجسد خيال السود، نشرت لكاد بامبارا، وغايل جونز، وأنجيلا ديفيس وسواهم.

تعالج في رواياتها وبخاصة المحبوب، ١٩٧٨ أوضاع السفاح في الأسر، والمنظمة الإرهابية العنصرية «الغلوغلوكس كلان» التي يرتدي أعضاؤها أقبعة والبسة بيضاء ويهاجمون في الليل «السود» لبث الربح في نفوسهم وقض مضاجعهم،

كما تعالج قضايا «السود» الحفاة العراة قبل أن يصنعوا الثورة، وقضايا النساء الغريات المتوحشات اللواتي يركضن وراء لذاتهن ومتعهن ويحصلن عليها.. هؤلاء النساء تحلل موريسون نفسياتهن وتهاجمهن لكي تبرز لنا صور عالمهن المادي الشهواني بأسلوب يشف بالاحساس والسحر.

تفكك موريسون، في كتابها «اللهو في العتمة» الخطاب العنصري المضمر في الروايات الأميركية، كما تسميها، وتتعبق «الإفريقية الأميركية»، كما فعل إدوارد سعيد بالخطاب الاستشراقي المتمركز حول الذات الغربية في كتابه «الثقافة والإمبريالية».

تكشف موريسون أن الأدب الأميركي يظهر على أنه حكر على العبقرية البيضاء، وموجه لهم، بما فيه رواية ستو ذاتها الصيت «كوخ العم توم». فالأدب الأميركي انشغل بصياغة الرجل الأبيض الجديد، وبرامج النقد تغاضت عن السواد والبياض الأدبيين وروجت للأدب الأميركي باعتباره «خالياً من العنصرية»! وتشير موريسون للنصوص السوداء المهمة خاصة النسائية التي يتم تجاهلها مرتين عرقياً أو ذكورياً.

وتصل إلى استنتاج مفاده أن الفردانية الأميركية هي ثمرة استعباد السود وتخريسهم، «بالعنف المعرفي» أو «العنف الرمزي» أو «الميتولوجيا البيضاء».

تحلل موريسون رواية «سافيرا والجارية» التي صدرت عام ١٩٤٠ للكاتبة الأميركية وبلا كاتر، وتبين أن أثر العرق واضح على السرد والحبكة، وترد سبب عدم جاذبيتها ليس إلى هروب صبوية سوداء من مزرعة، وإنما إلى هروب كاتبة بيضاء من «مؤسسة الأدب الأبيض». إن نص كاتر الأدبي يمور بالرموز والتأويلات العرقية، فالكاتبة لا تسمي روايتها باسمي الشخصيتين الرئيسيتين (سافيرا ونانسي) فهما مختلفتان عرقياً وإنما تلحق بنانسي وصفاً عرقياً يشير إلى «رياء الهوية البيضاء». وتستنتج موريسون: الهارب الحقيقي في الرواية هو الكاتبة كاتر ذاتها.

آر نست همنغواي لا يمنح السود موقعا «للإعراب» مثل أدغار الآن بو «المهذب» الذي يصف الأسود في قصصه «بالمعتم». فادب همنغواي خال من حساسيات ما بعد الحداثة.. تدلل موريسون على تهمتها لهمنغواي برواية (الميسورون والمخرومون) فخصائصها البيضاء إيجابية أما «العبد» و«الزنجي» فهو بلا اسم، وموجود فقط للخدمة والنوم وقراءة الجرائد وصامت غالباً، وإذا تكلم فكلامه حشرجات واعتذارات!

في قصة أخرى عنوانها «حديقة عدن» تجري «أيقنة» اللون: إحالة اللون الأسود إلى القوضى والجنون والغرابية والرغبة الضعيفة غير الملحوظة. فالمرضة التي أشرفت على الجندي الجريح (في سيرة همنغواي الذاتية تشرف عليه ممرضة سوداء) طبية، تلي رغبة المريض دون أن ينطق بها، والعناية هي دورها الأساسي. لكن الزنجي العطوف في ذات الوقت سادي ومتوحش، وهذا متضمن في وصف هاري لنموذج الأم السوداء المرخصة المتكررة في أدب همنغواي بأنها تشبه «حوتا تقوم بوظيفة التمريض». تحلل موريسون قسوة هذه الجملة وعنصريتها الوحشية

وتبرهن بالأدلة على أن همنغواي يتبنى أفكار شخصياته العنصرية. أفريقيا في قصص همنغواي تنوس بين صورتين، فهي مرة بريئة ومستعبدة ومرة شر لا يمكن قهره، الصورة التي تبقى في القصة هي الأسطورة المألوفة: إن أفريقيا جنة عدن للأبيض الذي إذا أكل من شجرة الخطيئة فيها فإن تلوج أعالي كليمنجارو البيضاء كفيلة بمنحه التطهير والغفران.

أوقفت موريسون محاضراتها في الأدب لكي تفتتح «مرسم برنستو» حيث تدعو كبار الفنانين التشكيليين الذين يعملون مع طلابهم على برنامج خاص هم يخططون له وينفذونه، مثل: دراسة موسيقاً عازف التشيلو الشهير YOYOM، ودراسة تدوم شهرين لفن البيئة السردية عند ماركينز. في الدراسة تقول توني: أتكلم كثيراً إما مع الموسيقا أو التمثيل أو الرقص فأنا مستمتعة نادراً ما أتكلم أو أعلق، لكنني أحب أن ألاحظ بدقة كل شيء. في الماضي كانت لدي دروس تتعلق بالخلق الفني في الكتابة، حيث كنت أساعد المواهب الشابة على التفتح، حتى ولو كان كثير من تلاميذي لا يفكرون في ممارسة الكتابة. اقتربني الآن من الكتابة مختلف، وأكثر صعوبة وحميمية وتجرداً كما لو أن شخصاً روايتي غير موجودين، وأن علي أن أنوب في السرد. إنه لتحذ كبير يتطلب أشكالا سردية أخرى.

رواية حب مثلاً تعبر عن استمرارية أصوات أكثر مما تعبر عن استمرارية أشخاص. السارد هنا امرأة تراقب الحبكة وتعلق على بقية الشخصيات. إن الساردة تحكم بطريقة فظة، وأنا لا. في سني، أربع وسبعون سنة، يمكنني أن أتخذ وضعاً سلطوياً واحتقر بعض النساء اللواتي يصرحن بكل ما لديهن، لكنني لأفعل ذلك. «عصر فيه يُعرف كل شيء ولأفهم فيه شيء» هذا ما تقوله الساردة. أما اليوم تقول توني فاننا مأخوذون بنوع من أنواع المظاهر المزيفة، بالإخلاص المزيف، الإخلاص الذي يتقبل الكذب وهو عارف بوقاحة ماذا ينجم عنه. أقول هذا بكل صراحة. ثمة قناع عام أو معمم نادراً ما يسقط لبيّن الوجه الحقيقي للأشياء. خوف اقتصادي منشؤه قوة الدعاية التي تخشى الي حد كبير فقدان كل ما يقترحه عليك الاستهلاك. أنهم ليفرضون علينا حياة تتسم بالتخصيص حيث المدارس، والضمان الإجتماعي والحياة اليومية، كلها تخضع لديكتاتورية المنافع والمكاسب. وثمة خوف آخر يتعلق بالشعور بالخطر الدائم، بالأمان من قبل الآخر، وهي فكرة تتسمك بها وسائل الإعلام. النساء في رواية حب يكره بعضهن بعضاً لكن هناك نوعاً من الحنان المتبادل بينهن. تشكل انفعالاتهن أكثر من تصرفاتهن صميم الحبكة: انها رواية نفسانية، فيها عشق، وهي غنية بالاحاسيس. ثمة صلة مفعمة متبادلة بين الأشخاص، شعور بروح الجماعة التي تربط ما بينهم.

موريسون هاجمت حكومة بوش، وأكدت أن الولايات المتحدة تعيش مكارثية جديدة، كالتى ظهرت في الخمسينات، وانتقدت حكومة بلادها التي توافق على قوانين تشريعية على عجل، بلا أي نقاش أو حوار ديمقراطي.

المصادر: موقع دمشق عاصمة الثقافة العربية ترجمة واعداد: كمال فوزي الشرايبي ترجمة: مروة رزق - جريدة الموندو (عن أخبار الأدب) - ٢٠٠٣

## قراءة في كتاب: تنظيم النساء... الجماعات

### النسائية الرسمية وغير الرسمية في الشرق الأوسط

تحرير: نور الضحي الشطي / أنيكا رابو

ترجمة: معين الإمام

قراءة: د. سوسن مروة

يضم الكتاب مجموعة من الأبحاث التي تحاول إلقاء نظرة على الظروف والآليات التي تتبناها النساء في بعض الدول الشرق أوسطية، ودول الخليج العربي، ومصر والمغرب والسنغال لتنظيم أنفسهن ضمن جماعات فاعلة في مجتمعاتهن. وتتقضى تلك الأبحاث طبيعة العلاقة بين النساء والدولة من خلال فحص آليات سيطرة الدولة وإحكام قيودها على نشاطات الجماعات النسائية غير الرسمية التي تتحدى بنية المجتمع الذكورية القائمة على العائلة والقبيلة.

وفي هذا السياق من الضروري أن نذكر أن تلك الأبحاث تطال فترة تمتد بين بدايات الستينيات حتى منتصف التسعينيات من القرن العشرين.

لا بد من التوقف بداية عند مصطلح «الشرق الأوسط» الذي تتبناه الباحثات في هذا المجال. ففي مقدمة البحث الأول، والذي يحمل عنوان الكتاب، تشير الباحثتان نور الضحي الشطي وأنيكا رابو إلى تعدد التعريفات المحددة لدول الشرق الأوسط، والتي حسب قولهما «تضم في الاستخدام المعاصر الرقعة الممتدة بين المغرب وإيران، وتتوسع في بعض السياقات لتشمل أفغانستان والباكستان أيضاً، وفي هذا السياق تؤكد الباحثتان على أنهما تتجاوزان هذه التعريفات (وهو مصطلح استعماري) لتشمل «تخوم المنطقة عند الحدود المغربية - السنغالية». ويبدو أن الباحثتين قد لجأتا إلى هذا التعريف لمفهوم الشرق الأوسط (عدا عن قبولهما مبدأ انصواء باكستان وأفغانستان تحت هذا المصطلح) لإيجاد إطار جامع ومشارك للدول التي يجري البحث حولها بدءاً من لبنان والأردن (تذكر نضالات النساء في فلسطين بشكل عابر فهي ليست ضمن البحوث الرئيسية)، مروراً بالكويت والبحرين وسلطنة عُمان، انتهاءً بمصر والمغرب والسنغال.

وإذا كان من قاسم مشترك بين هذه الدول، بالإضافة إلى أنها كانت واقعة

الشعبية (١٩٩٤-١٩٩٥) تستنتج أن مشاركة المرأة البحرينية في نشاطات المعارضة السياسية إبان الانتفاضة الشعبية قد زادت من وعيها الاجتماعي والسياسي، وأن هذا الوعي هو محوري في تحديد الهوية، رغم عدم تحقيق تغييرات فعلية على صعيد الحقوق التشريعية.

وتكتسب دراسة الباحثة نادية صادق العلي، أهمية خاصة، لكونها ترصد مرجعيات نشاطات الحركة النسائية في مصر، وتتساءل حول ماهية المناظرات الرئيسية المؤثرة في النساء «المناضلات في سبيل تحسين وتوسيع حقوقهن». تستهل الباحثة دراستها بإيجاز المناظرات الرئيسية ضمن الخلفية التاريخية التي واكبتها الحركة النسائية المصرية، وطبيعة التوجهات المتغيرة للدولة المصرية و«سياساتها الجندرية خلال فترات حكم كل من عبد الناصر والسادات ومبارك». وتوسع الباحثة لتفكيك مختلف المناظرات والمناقشات، التي تطرحها الحركة النسائية المعاصرة، والمتعلقة بالحدانة والتغريب، طبيعة المجتمع المدني والعلمانية والأقليات. فلاحظ أن هناك انفصلاً صارماً بين «الصوت الحدائي، العلماني، المتغرب» من جهة، و«الصوت المحافظ، الإسلامي، المعادي للغرب» من جهة أخرى. وما زاد من حدة هذا الانفصال أن المنظمات النسائية، سلبية الحركة الطلابية في السبعينيات والأحزاب السياسية اليسارية، قد تعرضت لهجوم مضاعف من قبل السلطة كما من قبل حركات الإسلام السياسي. فقد رأت السلطة في هذه المنظمات تهديداً لسيطرتها على المجال العام، ورأت فيها الجماعات الإسلامية تهديداً خطيراً للهوية العربية الإسلامية متهمه إياها بمعاداة الدين والتواطؤ مع الإمبريالية الغربية من خلال تبنيها للكثير من المفاهيم والممارسات الغربية. تخلص الباحثة في الختام إلى أن هذا الصراع بين جانبي الجماعات النسائية، قد أدى إلى استقطابات حادة وتشظ في فعالية حركة حقوق المرأة، وتقتصر توسع نموذج بعض الناشطات اللواتي تحدين كلا الخطابين (الإسلامي والعلماني)، عبر بناء لغة جديدة رغم أنها لا تفصح عن طبيعة هذه اللغة.



وفي دراسة أخرى تستهدف نساء الطبقة الوسطى والفقيرة، ترصد الباحثة مي صيقل ارتقاء وتطور دور المرأة البحرينية، الذي خضع للتطبيق والتعديل بتأثير التغييرات الاجتماعية - الاقتصادية التي مرت بها البحرين منذ عام ١٩٧٥ حتى فترة التسعينيات. وإذ تركز على دور النساء البحرينيات في الانتفاضة

## المكياج يسرع شيخوخة البشرة وترهلها



حذرت دراسات جديدة متعددة من خطورة الاستخدام الطويل للمكياج، ومستحضرات التجميل، على صحة البشرة وسلامتها وحيويتها، بسبب احتوائه على مكونات وأحماض تزيد حساسية الجلد للشمس. وأوضح أخصائيو الجلد في جامعة كاليفورنيا سان فرانسيسكو الأمريكية، أن المكونات الأساسية لكريمات التجميل وغيرها من المستحضرات المخصصة للزينة، قد تسرع الشيخوخة وبروز التجاعيد لأنها تزيد حساسية الجلد لحروق الشمس، التي تؤدي بدورها إلى إصابتها بالتجاعيد والترهل. وفسر الخبراء الأمر بأن أحماض "الفا هيدروكسي" المعروفة أيضا باسم أحماض الفاكهة، وتشكل العنصر الأساسي في كريمات التجميل ومنظفات الجلد المخصصة لتحسين بنية الجلد وجعله أكثر صلابة، من خلال تكثيف الياف الكولاجين، تحت طبقة البشرة الخارجية تساعد في تقشير الجلد، والتخلص من الخلايا القديمة، إلا أن ذلك قد يعرض الخلايا الجديدة وطبقات الجلد الحساسة للتتهيج والتلف الناتج عن الأشعة فوق البنفسجية، المنبعثة من ضوء الشمس، فتصبح أكثر عرضة للحروق الشمسية، التي لا تؤدي إلى الشيخوخة فقط، بل إلى

الإصابة بسرطان الجلد أيضا.

وأفاد الأخصائيون أن أحماض "الفا هيدروكسي" التي تستخرج من الفواكه والحليب، تعمل على تقشير الجلد، ونزع الخلايا الميتة من طبقاته العليا، سامحة للخلايا الجلدية الجديدة والشابة بالتكون مما يساعد في تخفيف سماعة الطبقة الجلدية الخارجية، فيزيد فرص الإصابة بحروق الشمس والحساسية والإحمرار والتتهيج لمدة قد تصل إلى اسبوع بعد استعمالها.

ونبه الخبراء إلى أنه بالإمكان تجنب هذه المخاطر من خلال الاستخدام الحذر للمستحضرات الواقية من أشعة الشمس، والابتعاد في حال احتواء المنتجات على أحماض ألفا هيدروكسي التي تجعل الجلد شديد الحساسية، وهو ما يتطلب استخدام مستحضرات واقية من الشمس بدرجة وقاية تتراوح من ١٠-٤٠ مشيرين إلى أن الأضرار لا تقتصر على أحماض الفا فقط، بل هناك عناصر أخرى تسبب تهيج الجلد وحساسية كفيتامين (أ) المشتق من مواد كيميائية مثل الريتينول الذي يساعد على إزالة البقع والخطوط الدقيقة، وحمض الساليسيليك الذي يستخدم لتقشير الجلد.



## مد منا مثلها؟

### نجوى غانم

في بداية الأمر، حيث طالبت الحكومة اللبنانية السفارة الاسترالية بأخذها، وهكذا اضطرت إلى تركهم وسافرت إلى بلدها مجبرة، لتعاود الاتصال بالدكتور فتحي لتجده قد سافر إلى مصر بعدما تم ترحيل الفلسطينيين من لبنان، وسرعان ما توجهت لمصر، وقامت بمحاولات جاهدة لإحضار الأطفال الثلاثة إلى مصر، وبالفعل نجحت محاولاتها حيث انضم إليها الأطفال في عام ١٩٨٤، وهناك ساهمت الدكتورة جين في إنشاء كلية تنمية القدرات لتأهيل كوادر تستطيع التعامل مع ذوي الاحتياجات الخاصة، وبعد عودة السلطة إلى غزة، ضمن قافلة العودة، وفي غزة استقرت الدكتورة جين مع أبنائها محمد ودلال ويدر في مدينة خان يونس. غير أنها بقدمها إلى غزة كتبت على نفسها معاناة جديدة، إذ كان عليها الخروج من غزة كل بضعة أشهر لانتهاج إقامتها، كونها دخلت غزة بتأشيرة سائح، ولم يتوان الجانب الإسرائيلي عن إعاقة عودتها إلى غزة كلما خرجت منها، لعلمهم بنشاطاتها الإنسانية داخل الضفة والقطاع. لكن صنوف العذاب التي ذاقتها هذه المرأة الفولاذية، لم تنهها عن إكمال الطريق التي بدأتها لخدمة الفلسطينيين، حيث ساهمت في تأسيس مركز التأهيل وكلية تنمية القدرات في الهلال الأحمر الفلسطيني في مدينة خان يونس، كما ساعدت في وضع المناهج والخطط التدريسية للكلية، التي أصبحت عميدة لها منذ عام ٢٠٠٣، بالإضافة لكونها مستشارة التأهيل والتدريب في الضفة والقطاع في جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني.

وبعد كل ما قدمت الدكتورة جين للإنسانية، فقد قدرت الإنسانية جهودها، إذ حازت على جائزة الدولة التقديرية للعمل الإنساني في عام ٢٠٠٥ في بلدها استراليا، بالإضافة لنيلها جائزة الأم المثالية لعام ٢٠٠٣ من بلدية مدينة خان يونس، وكان آخر ما قدمت الدكتورة جين للمدينة التي تسكنها منذ ثلاثة عشر عاما، مشروع تقدمت به للاتحاد الأوروبي لإنشاء حديقة عامة لأهل المدينة، وقد تم قبول مشروعها، وافتتحت الحديقة في تموز الماضي، ومنحت أهل المدينة متنفسا لهم ولأطفالهم.

ولا تزال الدكتورة جين وهي في عقدها الثامن، يفوح منها التفاؤل، حيث تتبسم وتنشر الأمل أينما حلت، وتحنو على أبنائها بسخاء من ولدتهم من أحشائها، وكلما التقيت بها سألت نفسي من منا مثلها؟

غادرت الحضارة والتطور واغتربت عن الوطن والأهل والأصدقاء، قادتها إنسانيتها عبر المسافات البعيدة لتكون إلى جوارهم، أولئك الصغار الذين لا ذنب لهم في الحياة سوى براءتهم وهويتهم الفلسطينية، التي جعلت منهم فريسة يطاردها القناصة في فلسطين وخارجها. أثرت أن تعيش معهم يؤسهم وشتاتهم وترحلهم، على أن تظل هناك حيث ولدت وترعرعت كموطن من الدرجة الأولى، آمن في بلده يتمتع بكامل حقوقه وإنسانيته.

في مدينة مكي الاسترالية وفي العام ١٩٣٦ ولدت الدكتورة جين إليزابيث كالد، لعائلة استرالية بسيطة لكنها متعلمة، غرست فيها المثابرة وحب العلم والعمل، وعلمتها كيف يكون الاعتماد على الذات ومساعدة الغير، وهناك نشأت وأدرجت قيمة وأهمية العمل الإنساني. وفي استراليا حيث الموطن الأساسي للدكتورة جين، أنهت دراستها الجامعية وحصلت على درجة البكالوريوس في التربية البدنية، لكن طموحها العلمي لم يقف عند هذه الدرجة، فانتقلت للولايات المتحدة الأمريكية، وهناك حصلت على درجة الماجستير ومن ثم الدكتوراه، متخصصة في التربية البدنية لذوي الاحتياجات الخاصة.

في أرض الأحلام بدأت أول معرفة لدى الدكتورة جين حول القضية الفلسطينية، من خلال إحدى صديقاتها، والتي نصحتها بالقراءة عن القضية الفلسطينية، لأنها تستحق القراءة، وهكذا كانت البداية بالنسبة للدكتورة جين، التي سرعان ما اتخذت قرارها بالسفر إلى حيث يوجد الفلسطينيون وكان ذلك أثناء الاجتياح الإسرائيلي للبنان، وحبها على المخيمات الفلسطينية في العام ١٩٨٢. لم تكن الطريق ممهدة أمام عملها الإنساني، الذي قطعت من أجل تحقيقه القارات، فقد كان عليها أن تقنع عائلتها أولا بقرارها السفر إلى لبنان، لتكون إلى جوار الأطفال المنكوبين من جراء الحرب السافرة عليهم، وبالفعل استطاعت وانطلاقا من إيمانها العميق بحاجة أولئك الأطفال إلى مساعدتها أكثر من أي شخص آخر قد يكون بحاجة إليها في داخل بلدها الأصلية.

في لبنان التقت الدكتورة جين بالدكتور الراحل فتحي عرفات، وقامت بالتطوع في الهلال الأحمر الفلسطيني، لتبدأ رحلتها مع ثلاثة من الأطفال الفلسطينيين من ذوي الاحتياجات الخاصة، والذين فقدوا كامل أهلهم جراء العدوان الإسرائيلي على المخيمات الفلسطينية في لبنان. حيث أصبحت أما لهم منذ ذلك الحين حتى يومنا هذا. لكن الأمر لم يخل من الصعاب بالنسبة لها

تصدر صحيفة صوت النساء بتمويل كامل من مؤسسة كونراد اديناور الألمانية.

■ إيماننا من مؤسسة كونراد اديناور بحرية الرأي والتعبير والحق في حرية الحصول على المعلومات، فإن ما يرد في صحيفة صوت النساء لا يعبر بالضرورة عن وجهة نظر المؤسسة أو يتفق معها. والمؤسسة تعتبر غير مسؤولة عن كل ما ينشر في صحيفة صوت النساء.

Sawt al- Nissa' is fully funded by Konrad Adenauer Stiftung (KAS) Ramallah ■ Based on KAS's belief of freedom of opinion and expression and the right of freedom of receiving information, what ever published in Sawt al- Nissa' does not necessarily reflect KAS's opinion and is not necessarily agreed upon. Therefore KAS is not responsible for what is published in Sawt al-Nissa'.

## هجوم عادية!!!

## الموسم الأخير

بقلم: عفاف يوسف

بعد أيام قليلة سينتهي شهر رمضان ويأتي العيد، لكن المزارع الفلسطيني لن يهينا بالعيد، فقد أعد العدة لبدء موسم الزيتون في ثاني أيام العيد، ربما سيكون العيد الثلاثاء أو الأربعاء، وأتمنى أن يكون الثلاثاء، حتى تتاح لي الفرصة للمشاركة في قطف الزيتون يومي الأربعاء والخميس، قبل أن تنتهي عطلة العيد، لأننا يومي الجمعة والسبت لا نستطيع الذهاب لقطف الزيتون لأن علينا أن نعمل مع المستوطنين.

قبل أيام إنصل بي أخي طالباً مني رقم هويتي، لتقديمها للإرتباط المدني من أجل الحصول على تصريح للدخول إلى أرض آبائنا وأجدادنا لقطف الزيتون، هذا السيناريو بدأ منذ السنة الأولى لإندلاع إنتفاضة الأقصى، حيث حرم أهالي قريتنا من الوصول إلى أراضيهم القريبة من المستوطنات، مع العلم أنه يحيط بالقرية ثمان مستوطنات، لذلك أصبحت معظم أراضي القرية إما مصادرة لصالح تلك المستوطنات، وإما ممنوع الوصول إليها حفاظاً على أمن المستوطنات. ومن تجراً من الأهالي وحاول الوصول لقي عقاباً شديداً منهم، إما بإطلاق النار عليه أو قذفه بالحجارة، وإما مصادرة ما جمعه خلسة من حبات الزيتون، وفي أسوأ الأحوال جرى قصف واقتلاع عدد لا بأس به من أشجار الزيتون المعمرة، التي عمرها أكبر بكثير من عمر الاحتلال ومن عمر دولته.

معظم أراضي عائلتي تقع في الجهة الشرقية للقرية، حيث توجد أشجار الزيتون بكثرة في تلك المنطقة، وهي أشجار معمرة وغزيرة الانتاج، حيث تستلقي في أسفل سفح ثاني أعلى جبل في منطقة رام الله، الذي يسمى جبل الدير، وقد تم الاستيلاء عليه من قبل المستوطنين، هو ومعظم الجبال المحيطة به، إذ وضعوا على رأس كل تلة وجبل عدداً من البيوت المتنقلة في البداية، ثم بنوا حولها عدداً آخراً من البيوت الثابتة، في سلسلة أطلقوا عليها إسم "تلمون" تبدأ بالحرف (أ) وتنتهي بالحرف (د)، عدا عن عدد آخر من المستوطنات، أشهرها مستوطنة "دولب" التي تحتل قمة أجمل جبل كان في المنطقة، وتقع بين قرى الجانية وعين قينيا ودير بزيغ، وقد التهمت هذه المستوطنة المئات من الدونمات، وأنشأت فيها عدا عن المستوطنة مزارعاً للعبث.

قبل بدء الإنتفاضة، كنا نصل بسهولة إلى أرضنا، وكنا نمر بمحاذاة المستوطنة، ونمشي في شارع يفصلنا شيك عن بيوتها، أحياناً كنا نصادف من يطلقون على أنفسهم "المجانين" من المستوطنين، يضابقوننا قليلاً ويحاولون منعنا من الوصول. لكن مع بدء الإنتفاضة، وكان موسم الزيتون على الأبواب، قامت المستوطنة بتوسيع حدودها، بحيث يصبح الشارع الذي كنا نمر منه داخلها، كما قاموا أيضاً بنقل البوابة من مكانها، بحيث أصبح لزاماً علينا أن نمر من داخل المستوطنة عبر تلك البوابة الكهربائية، التي يتحكم حارس عسكري، يقبع في غرفة زجاجية بالقرب منها.

قبل حوالي شهر أبلغت الإدارة المدنية الإسرائيلية مختار القرية، بأن جميع المناطق الموجودة بين سلسلة مستوطنات "تلمون" قد تم مصادرتها، وسيتعذر على أهالي القرية الوصول إليها، إلا أن تلك الإدارة -كبادرة حسن نية- ستسمح لأهالي بقطف زيتونهم هذه السنة.

وقع الخبر على الأهالي كالصاعقة، فهذه المنطقة تضم أفضل أراضيهم وأكثرها غزارة في إنتاج الزيت والزيتون، فحاولوا الاعتراض على القرار، لكن تبين أن وقت الاعتراض قد انتهى، حيث اكتشفوا أنهم تسلموا القرار في اليوم الأخير المسموح فيه الاعتراض، فراحت عليهم.

بالنسبة لي هذه الأرض بشكل خاص عزيزة علي جداً، فقد شهدت طفولتي الأولى وشبابي الأول، لي فيها ذكريات لا يمكن أن تمحي، حتى لو تمت مصادرتها، أو منعت نهائياً من الوصول إليها. بفضلها عرفت قيمة الأرض، وتمتعت بتذوق أفضل الخضراوات والفواكه، وبفضلها أصبحت أميز طعم زيتها عن باقي الزيوت، ففي إحدى السنوات وصلنتي تنكة زيت في عمان، لكني لم استسغ طعمها، وعندما سألت عرفت أنها لم تكن من زيت عين "ام سراج" المميز، فتخلصت منها، وانتظرت إلى أن وصلني ذلك الزيت المميز.

في تلك الأرض كنا موجودين عندما بدأت حرب عام ١٩٦٧، وفيها كانت مواجهتي الأولى مع الجنود الإسرائيليين، عندما طلب مني أحدهم أن أحضر له حبة بندورة، بعد أن شاهدها من بعيد، رفضت ذلك، وازدادت رفضاً عندما قدم لي حبات من الحلوى، وقلت له لن آخذها منك ولن أعطيك شيئاً، فانت عدوي.

هل ستوافق الإدارة المدنية على منحنا التصاريح اللازمة لقطف زيتوننا؟ وهل سيكون هذا الموسم هو الموسم الأخير؟ الأيام القادمة والعيد سيكشفان كل شيء، وكل عام والجميع بخير.

itaf1957@yahoo.com

## للإتصال أو للمراسلة

المشرفة العامة: روز شوملي مصبح  
المحررة المسؤولة: لبنى الأشقر

شارع الإرسال - مركز عواد

ص.ب: ٢١٩٧ رام الله

هاتف: ٢٩٨٦٤٩٧ - فاكس: ٢٩٦٤٧٤٦

بريد الكتروني: (wac\_\_media@palnet.com)

الآراء الواردة في الصحيفة تعبر عن رأي اصحابها

Konrad Adenauer Stiftung